إضاءات في طريق العلم

إعداد
القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية



إضاءات في طريق العلم

ح مؤسسة الدرر السنية للنشر ـ ١٤٣١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية
إضاءات في طريق العلم / القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية ـ
ط ١، الظهران، ١٤٣١هـ
١٥٢ ص، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٠ـ ٤٢٣٤ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨
١ـ الإسلام ٢ـ العلم أ ـ العنوان
ديوي ٢١٩.٧ ١٤٣ / ٧٧٦
رقم الإيداع: ٧٧٦ / ١٤٣١١

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

الدرر السنية
www.dorar.net

مؤسسة الدرر السنية – المملكة العربية السعودية
ص. ب ٣٩٣٦٤ الظهران ٣١٩٤٢ – جوال: ٠٥٥٦٩٨٠٢٨٠
تلفاكس : ٠٣٨٦٨٠١٢٣ بريد إلكتروني **nashr@dorar.net**

إِضَاءَاتٌ فِي طَرِيقِ العِلْمِ

إعداد

القسم العلمي بمؤسَّسة الدرر السَّنِيَّة



يا سائراً فِي رِكَابِ العِلْمِ مُجْتَهِــــداً   يَحْدُوكَ عَزْمٌ إِلَى تَحْصِيلِ غَايَــــاتِ

إِلَيكَ مِنْ حِكَمِ الأَخْيَارِ مُقْتَـــــبَسٌ   فَلْتَسْتَنِرْ مِنْ هُدَاهُمْ بِالإِضَــــاءَاتِ

إِضَـــاءَةٌ فِي طَرِيقِ العِلْمِ مِنْ (دُرَرٍ   سَنِيّـــــةٍ) تَرْتَجِي رَبَّ البَرِيَّــــاتِ

مقدمـــة

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ على عبدهِ الكتابَ؛ ليخرجَ الناسَ بإذنهِ مـــن الظلماتِ إلى النورِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على من أضاءَ اللهُ تعالى بـــهِ دربَ الهدى الموصِلِ إلى دارِ السُّرورِ، ومَنْ شقَّ سبحانَه بفجرهِ ليلَ الجهلِ، وأبانَ طرائقَ الشُّرورِ. أمَّا بعد:

فإنَّه لا يخفى على أحدٍ ما جاءَ في كتابِ اللهِ العظيمِ، وصـــحيحِ السنَّةِ، عن فضلِ العلمِ، وشرفِ أهلهِ، والحثِّ على طلبهِ.

والنصوصُ الواردةُ في ذلك، أكثرُ من أن تُحصَر، وأشهرُ من أن تُـــذكَر، وقد ذكرنا من أقوال أهل العلم نُبذاً يسيرةً تفي بـــالمطلوب إن شـــاء الله تجدُها في ثنايا هذا الكتاب.

والداعي إلى هذا الكتاب عدَّة أمور:

- افتقادُ المنهج الصَّحيح في التعلُّم.
- قصورُ مناهجِ التعليم.
- ضعفُ التحصيلِ العلمي.
- فتورُ الهممِ في طلب العلم.
- الانفصامُ بين العلمِ والعمل.

ومساهمةً منا في تصحيح المسيرة، وإيضاحِ الطريق، وإضاءةِ الدرب، أحببنا أن نجمع من توجيهات السلف وقصصهم، وأقوال العلماء وتوجيهاتهم من المتقدمين والمعاصرين، ما يضع المتعلم على الطريق الصحيح..

فجاءِ هذا الكتاب دُرَراً سنيَّةً، وغُرَراً بهيَّةً من عيونِ كلامِ السَّلف ، تضيءُ لملتمسِ العلمِ طريقَه، انتُقيَتْ من بين عددٍ من الكتبِ، والمحاضراتِ والبحوثِ، والمقالاتِ والدروسِ المفرَّغةِ. وجُمِعَتْ تحتَ اسمِ (إضاءات في طريق العلم) اشتملتْ على إضاءاتٍ في فضلِ العلمِ وشرفِ أهلِهِ، وإضاءاتٍ تربويةٍ، وإضاءاتٍ في طريقِ العلمِ من أولِهِ إلى آخرِهِ، تعلُّماً وتعليماً.

وأصلُ هذا الكتاب – في غالبه – عبارةٌ عن رسائلَ، كانت تُرسَلُ لمشتركي جوال الدُّررِ السنيَّةِ، وقد قام الفريقُ العلميُّ بمؤسَّسةِ الدُّررِ السَّنيَّةِ، بتجميعِ تلكَ الرَّسائلِ، وتبويبِها، وترتيبِها، وسدِّ الخللِ الواقعِ فيها، وإكمالِ ما نقَصَ منها، والزِّيادةِ عليها.

ولْم يكنِ المرادُ من هذا الكتاب الجمعَ والاستقصاءَ، فحسبُنا هذا القدر الآن، واستقصاءُ هذا الباب مما يقْصُرُ عنه الزَّمان.

هذا والخللُ وارد، والنقصُ طارئ، وبلوغُ الكمالِ مُحَال، وشأنُ الكرامِ الأخيار، التماسُ الأعذار.

والله َ نسأل أن ينفع مقتنيه بما فيه..

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلهِ وصحبِه.

القسم العلمي بمؤسَّسة الدُّرر السَّنيَّة

أولاً: إضاءات في فضل العلم وأهله

١- فضل العلم وشرف أهله:

(كان عطاءُ بنُ أبي رَباحٍ عبداً لامرأةٍ مِن مكَّةَ، أسودَ، أعـــورَ، ثم عمِي، أفطسَ، أشلَّ، أعرجَ.

جاءَه سليمانُ بنُ عبدِالملكِ، أميرُ المُؤْمنين، هو وابناه، فجَلَسوا إليه وهو يُصلِّي، فلمَّا صلَّى انْفَتَل إليهم، وما زالوا يَسْأَلُونه عن مناسكِ الحجِّ، وقد حوَّل قَفاه إليهم، ثم قالَ سليمانُ لابنَيْه: قُومَا. فقامَا، فقال: (يا بنيَّ، لا تَنِيَا في طلبِ العلمِ؛ فإنِّي لا أنْسَى ذُلَّنا بينَ يَدَيْ هذا العبدِالأسودِ)[1].

وتفقَّه أبو بكرٍ الكاسانيٌّ على علاءِ الدينِ السَّـــمرقنديِّ، الـــذي زوَّجَه ابنتَه فاطمةَ، الفقيهةَ، العالمةَ، قِيل: (إنَّ سببَ تزويجه بابنةِ شـــيخِه؛ أنَّها كانت مِن حسانِ النساءِ؛ وكانت قد حفِظـــتِ التُّحْفَـــةَ تصـــنيفَ والدِها، وطلَبها جماعةٌ مِن ملوكِ بلادِ الرومِ، فـــامتنعَ والـــدُها، فجـــاء الكاسانيٌّ، ولزِم والدَها، واشتَغَل عليـــه، وبـــرَع في عِلْمَـــي الأصـــولِ، والفروعِ، وصنَّف كتابَ البدائعِ وهو شرحٌ للتُّحفةِ، وعرَضه على شيخِه فازداد فرَحاً به، وزوَّجه ابنتَه، وجعَل مهرَها مِنه ذلك، فقال الفقهـــاءُ في عصرِه: شرَح تحفتَه، وزوَّجه ابنتَه)[2].

---

(١) (تاريخ دمشق، لابن عساكر) (٤٠/٣٧٥).

(٢) (الجواهر المضية، للقرشي) (٤/٢٦).

(رأى الرِّياشِيُّ سقَّاءً على رقبتِه قربةٌ، فقال: لولا العلمُ لكنتُ مثلَ هذا. وكان أبوه عبداً سقَّاءً)[١].

وقال أبو الأسودِ: (ليس شيءٌ أعزَّ مِن العلمِ، وذلك أنَّ الملوكَ حُكَّامٌ على الناسِ، والعلماءُ حكَّامٌ على الملوكِ)[٢].

وقال حمدانُ الأصفهانيُّ: (كنتُ عندَ شريكٍ، فأتاه بعضُ ولدِ المهديِّ، فاستندَ إلى الحائطِ، فسَألَه عن حديثٍ، فلم يلتفِتْ إليه، وأقبلَ علينا، ثم عادَ، فعادَ بمثلِ ذلك، فقالوا: أتستخفُّ بأولادِ الخلفاءِ؟ قال: لا، ولكنَّ العلمَ أجلُّ عندَ أهلِه مِن أن يُضيِّعوه. قال: فجثَا على رُكبتَيْه، ثمَّ سألَه، فقال شريكٌ: هكذا يُطلَبُ العلمُ)[٣].

رُوِي عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضِي اللهُ عنه أنَّه قال: (كفَى بالعلمِ شرفاً أنْ يدَّعِيَه مَن لا يُحسِنُه، ويفرَحُ به إذا نُسِب إليه، وكفَى بالجهلِ ذمًّا أن يتبرأَ منه مَن هو فيه)[٤].

قال ابنُ القيِّمِ: (كلُّ صفةٍ مدَح اللهُ بها العبدَ في القرآنِ فهي ثمرةُ العلمِ ونتيجتُه، وكلُّ ذمٍّ ذمَّه فهو ثمرةُ الجهلِ ونتيجتُه)[٥].

---

(١) (الحث على طلب العلم، للعسكري) (ص٥١ – ٥٢).

(٢) (الحث على طلب العلم) (ص٥٣).

(٣) (الحث على طلب العلم) (ص٨٥).

(٤) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة) (ص١٠).

(٥) (مفتاح دار السعادة لابن القيم) (٣٧٩/١).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَـــذِيرًا ۞ فَــلا تُطِــعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥١،٥٢].

قال ابنُ القيِّمِ معلِّقاً – وتأمَّلْ كلامَه – : (فهذا جهادٌ لهم بالقرآنِ، وهو أكبرُ الجهادَيْن، وهو جهادُ المنافقين أيضاً، فإنَّ المنافِقينَ لم يكونُــوا يُقاتِلون المسلِمينَ، بلْ كانُوا معهم في الظاهِرِ، وربَّمــا كــانوا يُقــاتِلون عَدوَّهم معهم، ومعَ هذا فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِــدِ الْكُفَّـــارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣]. ومعلومٌ أنَّ جهادَ المنافقين بالحُجَّةِ والقرآنِ.

والمقصودُ أنَّ سبيلَ اللهِ هي الجهادُ وطلبُ العلمِ، ودعوةُ الخلقِ به إلى اللهِ ...)[1].

٢- حلاوة العلم ولذته:

(كتَب عبدُالملكِ بنُ مَروانَ إلى الحجَّاجِ: انظرْ لي رجـــلاً، عالمـــاً بالحلالِ والحرامِ، عارفاً بأشعارِ العربِ، وأخبارِها، أستأنسُ به، وأُصـــيبُ عندَه معرفةً. فوجَّه إليه الشعبيَّ، وكان أجمعَ أهلِ زمانِه.

قال الشعبيُّ: فلم ألقَ والياً، ولا سُوقَةً[2]، إلا وهو يحتاجُ إليَّ، ولا أحتاجُ إليه، ما خلا عبدَالملكِ، ما أنشدتُه شعراً، ولا حدَّثتُه حديثاً إلا وهو يزيدُني فيه، وكنتُ ربَّما حدَّثتُه وفي يدِه اللقمةُ فيمسكُها، فأقولُ: يا أميرَ

(١) (مفتاح دار السعادة، لابن القيم) (١/٢٧١، ٢٧٢).

(٢) السُّوقَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ خِلَافُ الْمَلِكِ (المصباح المنير) (س و ق) .

المؤْمِنين، أسغْ طعامَك، فإنَّ الحديثَ مِن ورائِه، فيقولُ: ما تُحدِّثني به أوقعُ بقلبي مِن كلِّ لذةٍ، وأحلَى مِن كلِّ فائدةٍ)[١].

قال ابنُ القيِّمِ: (وحدَّثني شيخُنا- يعني ابنَ تيميةَ- قال: ابتـــدأني مرضٌ، فقال لي الطبيبُ: إنَّ مطالعَتَك وكلامَك في العلمِ يزيدُ المـــرضَ. فقلتُ له: لا أصبرُ على ذلك، وأنا أحاكِمُك إلى علمِك، أليستِ الـــنفسُ إذا فرِحتْ، وسُرَّتْ، قوِيت الطبيعةُ، فدفَعتِ المرضَ؟ فقال: بلَى. فقلـــتُ له: فإنَّ نَفْسي تُسَرُّ بالعلمِ فتَقْوَى به الطبيعةُ، فأجدُ راحةً. فقـــال: هـــذا خارجٌ عن علاجِنا...) اهـــ[٢].

(١) (معجم الأدباء، لياقوت الحموي) (٣٣/١).

(٢) (روضة المحبين، لابن القيم) (ص٧٠).

ثانياً: إضاءات تربوية

١- أَخلِص، تُخلَص:

(الإخلاصُ في طلبِ العلمِ شرطٌ تتابعيٌّ، لا ابتدائيٌّ، ومعنَى ذلك أنَّ طالبَ العلمِ يحرِصُ على متابعةِ الإخلاصِ في نفسِه، ولا يمتنعُ عن الطلبِ بدعوَى أنَّه لم يتحققْ لدَيْه الإخلاصُ.

ومعنَى الإخلاصِ فسَّره بعضُ أهلِ العلمِ، فقال ابنُ جماعةَ: هو حُسنُ النيةِ في طلبِ العلمِ، بأنْ يقصِدَ به وجهَ اللهِ تعالى، والعملَ به، وإحياءَ الشريعةِ، وتنويرَ قلبه، وتحليةَ باطنِه، والقربَ مِن اللهِ تعالى يومَ القيامةِ، والتعرضَ لما أعَدَّ لأهلِه مِن رضوانه، وعظيمِ فضلِه.
قال سفيانُ الثوريُّ: ما عالجتُ شيئاً أشدَّ عليَّ من نيَّتي)[1].

قال ابن حِجةَ - بكسرِ الحاءِ - الحمويُّ، ردًّا على زوجتِه:

(وقائلة: أنفقتَ في الكُتْبِ ما حوَتْ يَداكَ مِن الأموالِ، قلتُ: دَعِيني
لعلِّي أرَى فيها كتاباً يَدلُّني لأخذِ كتابي آمناً بيَمِيني)[2]

قال هشامٌ الدَّسْتَوائيُّ: (واللهِ ما أستطيعُ أنْ أقولَ: إنِّي ذهبتُ يوماً قطُّ أطلبُ الحديثَ أُريدُ به وجهَ اللهِ عزَّ وجلَّ).

علَّق عليه الذهبيُّ بقولِه: (واللهِ ولا أنا، فقد كان السَّلفُ يطلبون

(١) (التأصيل في طلب العلم، لبازمول).
(٢) (الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، ليوسف بن الحسن) (ص٤٥).

العلمَ للهِ، فنَبلُوا، وصاروا أئمةً يُقتدَى بهم، وطلَبه قومٌ منــهم أولاً، لا للهِ، وحصَّلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسَهم فجرَّهم العلمُ إلى الإخلاصِ في أثناءِ الطريقِ، كما قال مجاهدٌ وغيرُه: طلَبْنا هذا العلمَ، وما لنا فيه كــبيرُ نيةٍ، ثم رزَق اللهُ النيةَ بعدُ. وبعضُهم يقولُ: طلَبْنا هذا العلمَ لغيرِ اللهِ، فأبَى العلمُ أن يكونَ إلا للهِ. فهذا أيضاً حسنٌ، ثم نشروه بنيةٍ صــالحةٍ. وقــومٌ طلَبوه بنيَّةٍ فاسدةٍ لأجلِ الدنيا، ولِيُثْنَى عليهم، فلهم ما نَوَوْا)[1].

وقال الشافعيُّ: (وددتُ أنَّ الناسَ تعلَّموا هذا العلمَ - يعني كتبَه - على أن لا يُنسَبَ إليَّ منه شيءٌ) [2].

(وقال حَرْملةُ: سمِعْتُ الشافعيَّ يقولُ: وددتُ أنَّ كلَّ علمٍ يعلمُــه الناسُ، أُؤْجرُ عليه، ولا يحمَدوني.

وقال: ما ناظرتُ أحداً قطُّ إلا على النصيحةِ) [3].

جاء في ترجمةِ ابنِ جُرَيْجٍ أنَّ الوليدَ بنَ مُســلمٍ قــال: (ســألتُ الأوزاعيَّ وسعيدَ بنَ عبدِالعزيزِ وابنَ جُريجٍ: لَمنْ طلَبْتُم العلمَ؟ كلُّهم يقولُ: لنَفْسي. غيرَ ابنِ جريجٍ فإنَّه قال: طلبتُه للناسِ).

قال الذهبيُّ تعليقاً على هذا الخبرِ: (قلتُ: ما أحســنَ الصــدقَ! واليومَ تسألُ الفقيهَ الغبيَّ: لَمنْ طلبتَ العلمَ؟ فيبادِرُ ويقــولُ: طلبتُــه للهِ. ويكذِبُ، إنَّما طلَبه للدُّنيا، ويا قِلَّةَ ما عَرَفَ منه) [1].

---

(١) (سير أعلام النبلاء، للذهبي) (١٥٢/٧).

(٢) (المصدر السابق) (١٨/١٩).

(٣) (حلية الأولياء، لأبي نعيم) (١١٨/٩).

وحكَى الذهبيُّ عن أبي الحسنِ القَطَّانِ قولَه: (أُصِبْتُ ببصري، وأظنُّ أنِّي عُوقِبتُ بكثرةِ كلامِي أيامَ الرِّحلةِ).

ثمَّ قال الذهبيُّ معلقاً: (صدَق واللهِ، فقد كانوا معَ حسنِ القصدِ، وصحةِ النيةِ غالباً يخافون مِن الكلامِ، وإظهارِ المعرفةِ، واليومَ يُكثِرون الكلامَ، مع نقصِ العلمِ، وسوءِ القصدِ، ثمَّ إنَّ اللهَ يفضحُهم، ويلوحُ جهلُهم، وهواهم، واضطرابُهم فيما علِموه، فنسألُ اللهَ التوفيقَ والإخلاصَ)[٢].

هذا في زمانِه، فكيفَ في زمانِنا!

٢- التزكية أولاً:

قال أبو العباسِ بنُ قدامةَ: (فأمَّا علمُ المعاملةِ، وهو علمُ أحوالِ القلبِ، كالخوفِ، والرجاءِ، والرِّضا، والصدقِ، والإخلاصِ، وغيرِ ذلك، فهذا العلمُ ارتفَع به كبارُ العلماءِ، وبتحقيقِه اشتهرتْ أذكارُهم كسفيانَ، وأبي حنيفةَ، ومالكٍ، والشافعيِّ، وأحمدَ، وإنما انحطتْ رتبةُ المسمَّيْنَ بالفقهاءِ والعلماءِ عن تلك المقاماتِ؛ لتشاغُلِهم بصورِ العلمِ، مِن غيرِ أخذٍ على النفسِ أن تبلُغَ إلى حقائقِه، وتعملَ بخفاياه)[٣].

(١) (سير أعلام النبلاء، للذهبي) (٦/٣٢٨).

(٢) (المصدر السابق) (١٥/٤٦٤،٤٦٥).

(٣) (مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة) (ص٢٧).

٣- صدق التوجه إلى الله:

قال ابنُ عبدِالهادِي: (قال ابنُ تيميةَ: ربَّما طالعتُ علـى الآيـةِ الواحدةِ نحوَ مائةِ تفسيرٍ، ثمَّ أسألُ اللهَ الفهمَ، وأقـولُ: يـا معلِّـمَ آدمَ وإبراهيمَ، علِّمْني. وكنتُ أذهبُ إلى المساجدِ المهجورةِ ونحوِها، وأُمـرِّغُ وجْهِي في الترابِ، وأسألُ اللهَ تعالى وأقولُ: يا معلِّمَ إبـراهيمَ فهِّمْـني. ويذكرُ قصةَ معاذِ بنِ جبلٍ، وقولَه لمالكِ ابنِ يخامرَ لَمَّا بكَى عنـدَ موتِـه، وقال: إنِّي لا أبكي على دُنيا كنتُ أُصِيبُها منك، ولكنْ أبْكِي على العلمِ والإيمانِ اللذَيْن كنتُ أتعلَّمُهما منك. فقال: إنَّ العلمَ والإيمانَ مكانَهمـا، مَن ابتغاهما وجَدهما، فاطْلبِ العلمَ عندَ أربعةٍ، فإن أعيـاكَ العلـم عنـدَ هؤلاءِ، فليس هو في الأرضِ فاطْلُبْه مِن معلِّمِ إبراهيمَ)[1].

٤- العمل بالعلم:

(قال الشافعيُّ: ليسَ العلمُ ما حُفِظ، العلمُ ما نفَع. ومِن ذلك دوامُ السكينةِ، والوقارِ، والخشوعِ، والتواضعِ للهِ والخضوعِ.

ومما كتَب مالكٌ إلى الرَّشيدِ: إذا عُلِّمتَ علماً، فلْيُرَ عليك عِلمُه، وسكينتُه، وسمتُه، ووقارُه، وحِلمُه؛ لقولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ)) [2].

---

(١) (العقود الدرية، لابن عبد الهادي) (ص٢٤،٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣). وقال الزيلعي في (تخريج الكشاف) (٣/٧): له طريق سالمة من الضعف والاضطراب وطريق آخر بإسناد جيد. وقال ابن حجر في (فتح الباري) (١/١٩٢): إسناده مضطرب وله شواهد يتقوى بها.

وقال عمرُ رضِي اللهُ عنه: تعلَّموا العلمَ، وتعلَّموا لــه الســكينةَ والوقارَ.

وعن السَّلفِ: حقٌّ على العالمِ أنْ يتواضَعَ للهِ، في سرِّه، وعلانيتِه، ويحترسَ مِن نفسِه، ويقفَ على ما أشْكلَ عليه) [١].

قال أبو الفرجِ ابنُ الجوزيِّ:

(مَن عرَف الشرعَ كما يَنْبغي، وعلِم حالةَ الرسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وأحوالَ الصحابةِ، وأكابرَ العلماءِ؛ علِم أنَّ أكثرَ الناسِ على غــيرِ الجادةِ، وإنَّما يَمْشون معَ العادةِ، يتزاورون فيغتابُ بعضُهم بعضاً، ويطلبُ كلٌّ واحدٍ منهم عورةَ أخيه، ويحسُدُه إنْ كانتْ نعمةٌ، ويَشْمتُ بــه إنْ كانتْ مصيبةٌ، ويتكبَّرُ عليه إن نصَح له، ويخادعُه لتحصيلِ شــيءٍ مِــن الدُّنيا، ويأخذُ عليه العثراتِ إنْ أمكَن، هذا كلُّه يجري بــينَ المنْــتَمِين إلى الزُّهدِ لا الرَّعاعِ.

فالأوْلَى بمَن عرَف اللهَ سبحانَه، وعرَف الشرعَ، وسِيَرَ السَّــلفِ الصالحين، الانقطاعُ عن الكلِّ) [٢].

وعن أيُّوبَ السَّخْتِيانيِّ قال: (قال لي أبو قِلابةَ: إذا أحدَثَ اللهُ لك عِلماً، فأحدِثْ له عبادةً، ولا يكُنْ همُّك أنْ تحدِّثَ به.

وقال الشَّعبيُّ: كنَّا نستعينُ على حفظِ الحديثِ، بالعملِ به)[١].

(١) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة) (ص١٥ – ١٦).

(٢) (صيد الخاطر، لابن الجوزي) (ص ٢٨٩).

وقال سفيانُ الثوريُّ: (العلمُ يَهتِفُ بالعمـلِ، فـإنْ أجابَـه وإلا ارْتحَلَ)[٢].

وقال الخطيبُ البغداديُّ: (إنِّي موصيك يا طالبَ العلمِ بـإخلاصِ النيةِ في طلبه، وإجهادِ النفسِ على العملِ بموجبه، فإنَّ العلـمَ شـجرةٌ، والعملَ ثمرةٌ، وليس يُعَدُّ عالماً مَن لم يكنْ بعلمِه عاملاً، وقِيلَ: العلمُ والدٌ، والعملُ مولودٌ، والعلمُ مع العملِ، والروايةُ مع الدرايةِ، فلا تأنَسْ بالعملِ، ما دُمتَ مستوحشاً مِن العلمِ، ولا تأنسْ بالعلمِ، ما كنـتَ مقصِّـراً في العملِ، ولكن اجمَعْ بينَهما، وإنْ قلَّ نصيبُك منهما...) [٣].

وقال أيضاً: (ينبغي لطالبِ الحديثِ أن يتميزَ في عامَّةِ أموره عـن طرائقِ العوامِّ، باستعمالِ آثارِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وسلَّم مـا أمكَنه، وتوظيفِ السُّنةِ على نفسه؛ فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُـمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١] [٤].

❖ من علامات العلم النافع:

قال الشيخُ بكر أبو زيدٍ: (تساءَلْ مع نفسِك عن حظِّـك مِـن علاماتِ العلمِ النافعِ، وهي:

- العملُ به.

---

(١) (جامع بيان العلم، لابن عبد البر) (١/٧٠٩).

(٢) (المصدر السابق) (١/٧٠٧).

(٣) (اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي) (ص١٤).

(٤) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (١/٢١٥).

- كراهيةُ التَّزكيةِ والمدحِ والتكبرِ علَى الخلقِ.
- تكاثرُ تواضُعِك كلَّما ازددتَ علماً.
- الهربُ مِن حبِّ الترؤسِ والشهرةِ والدُّنيا.
- هجرُ دعوَى العلمِ.
- إساءةُ الظنِّ بالنفسِ، وإحسانُه بالناسِ تتزهاً عن الوقوعِ بهم.

وقد كان عبدُالله بنُ المباركِ إذا ذكَر أخلاقَ مَن سلَف يُنشِدُ:

لا تعرضَنَّ بذِكْرِنا مع ذِكْــرِهم ليسَ الصَّحيحُ إذا مشَى كالمُقْعَدِ[(١)]

٥- الأدب قبل الطلب:

قال عبدُالله بنُ المباركِ: (كانوا يطلبون الأدبَ ثمَّ العلمَ).

وقال أيضاً: (كادَ الأدبُ يكونُ ثُلُثَي الدِّينِ)[(٢)].

قال محمدُ بنُ سيرينَ: (كانوا يتعلَّمون الهَـدْيَ كمـا يتعلمـون العلمَ)[(٣)].

وعن إبراهيمَ بنِ حبيبِ بنِ الشَّهيدِ، قال: قال لي أبي: (يا بـنيَّ، إيتِ الفقهاءَ والعلماءَ، وتعلَّمْ منهم، وخذْ مِن أدبِهم وأخلاقِهم وهَدْيِهم، فإنَّ ذاك أحبُّ إليَّ لك مِن كثيرٍ مِن الحديثِ)[(٤)].

---

(١) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد) (ص٥١).
(٢) (صفة الصفوة، لابن الجوزي) (٤/١٤٥).
(٣) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (١/١٢١).
(٤) (المصدر السابق).

وقال أبو زَكرِيَّا يحيَى بنُ محمدٍ العنبريُّ: (علمٌ بلا أدبٍ، كنارٍ بلا حطبٍ، وأدبٌ بلا علمٍ، كجسمٍ بلا روحٍ) [(١)].

قال عيسَى بنُ حمادٍ زغبةُ: (سمِعتُ الليثَ بنَ سعدٍ يقولُ — وقد أشرفَ على أصحابِ الحديثِ فرأَى منهم شيئاً — : ما هذا؟ أنتُم إلى يسيرٍ مِن الأدبِ أحوجُ مِنْكم إلى كثيرٍ مِن العلمِ) [(٢)].

❖ من خلق الطالب وسمته:

قال الخطيبُ البغداديُّ: (يجبُ على طالبِ الحديثِ أن يتجنَّبَ اللعبَ والعبثَ والتبذلَ في المجالسِ بالسخفِ، والضحكِ، والقهقهةِ، وكثرةِ التنادرِ، وإدمانِ المزاحِ والإكثارِ منه، فإنَّما يُستجازُ مِن المزاحِ يسيرُه ونادرُه وطريفُه الذي لا يخرجُ عن حدِّ الأدبِ وطريقةِ العلمِ، فأمَّا متصلُه وفاحشُه وسخيفُه وما أوْغَر منه الصدورَ وجلَب الشرَّ؛ فإنَّه مذمومٌ، وكثرةُ المزاحِ والضحكِ يضعُ مِن القَدْرِ، ويزيلُ المروءةَ) [(٣)].

وقال الشيخُ بكر أبو زيدٍ: (تحلَّ بآدابِ النفسِ، مِن العفافِ، والحِلمِ، والصبرِ، والتواضعِ للحقِّ، وسكونِ الطائرِ، مِن الوقارِ والرزانةِ، وخفضِ الجناحِ، متحملاً ذلَّ التعلمِ لعزَّةِ العلمِ، ذليلاً للحقِّ.

وعليه، فاحذرْ نواقضَ هذه الآدابِ، فإنَّها معَ الإثمِ تُقيمُ على نفسِك شاهداً على أنَّ في العقلِ علةً، وعلى حرمانٍ مِن العلمِ والعملِ به،

---

(١) (المصدر السابق) (١/١٢٢).

(٢) (شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي) (ص١٢٢).

(٣) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (١/٢٣٢).

فإيَّاك والخيلاءَ، فإنَّه نفاقٌ وكبرياءُ، وقد بلَغ مِن شدةِ التَّوقِّي مِنه عندَ السَّلفِ مبلغاً)[١].

❖ من آداب طالب العلم:

(أمَّا المتعلِّمُ: فآدابُه ووظائفُه كثيرةٌ، ولكن ينظمُ تفاريقَها عشـــرُ جملٍ [ومنها]:

- تقديمُ طهارةِ النفسِ عن رذائلِ الأخلاقِ، ومذمومِ الأوصافِ.
- أنْ يقلِّلَ علائقَه مِن الاشتغالِ بالدُّنيا.
- أنْ لا يتكبرَ على العلمِ، ولا يتأمرَ علَى المعلِّمِ.
- أنْ يحترزَ في مبدأِ الأمرِ عن الإصغاءِ إلى اختلافِ الناسِ.
- أنْ لا يدعَ الطالبُ فنًّا مِن العلومِ المحمودةِ، إلا وينظرُ فيه نظراً يطَّلِعُ به على مقصدِه.
- أنْ لا يأخذَ في فنٍّ دفعةً، بل يُراعي الترتيبَ، ويبتدئُ بالأهمِّ.
- لا يخوضُ في فنٍّ، حتى يستوفيَ الذي قبلَه.
- أنْ يكونَ قصدُ المتعلِّمِ في الحـــالِ تخليـــةُ باطنِـــه وتجميلُـــه بالفضيلةِ)[٢].

---

(١) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد) (ص١٠).

(٢) (أبجد العلوم، لصديق حسن خان، بتصرف) (١/١٢٤- ١٢٧).

ثالثاً: إضاءات في أول الطريق

١- سِتٌّ ركائز أساسية:

(قال بعضُ الأوائلِ: لا يتمُّ العلمُ إلا بستةِ أشياءَ: ذهنٍ ثاقبٍ، وزمانٍ طويلٍ، وكفايةٍ، وعملٍ كثيرٍ، ومعلِّمٍ حاذقٍ، وشهوةٍ، وكلَّما نقَص مِن هذه الستةِ شيءٌ، نقَص بمقدارِه مِن العلمِ.

وذكَر الشهوةَ؛ لأنَّ النفسَ إذا اشْتَهت الشيءَ، كانت أسمحَ في طلبِه، وأنشطَ لالتماسِه.

وذكَر الكفايةَ؛ لأنَّ التكسُّبَ، وتعذُّرَ المعاشِ مَقْطَعَةٌ... والحاجةُ تميتُ النفسَ.

وذكَر المعلِّمَ الحاذقَ؛ لأنَّه إذا لم يكُنْ حاذقاً، لم يَحْلَ المتعلمُ منه بطائلٍ[1].

وذكَر ثقوبَ الذِّهنِ؛ لأنَّه علةُ القبولِ؛ وسببُ الفهمِ.

وذكَر كثرةَ العملِ؛ لأنَّ مَن لا يدأبُ في الطلبِ وقتَ الفراغِ، وقوةِ الشبابِ، قطَعتْه القواطعُ)[2].

---

(١) لم يَحْلَ بطائل أي: لم يظفر و لم يستفد منها كبيرَ فائدة (لسان العرب، لابن منظور ١٤/١٩١).

(٢) (الحث على طلب العلم، للعسكري، بتصرف) (ص٤٧ – ٤٩).

٢- من سار على الدرب وصل:

رحِم اللهُ الزرنوجيَّ حيثُ قالَ: (فلمَّا رأيتُ كثيراً مِن طلابِ العلمِ في زمانِنا، يجِدُّون إلى العلمِ، ولا يَصِلون، ومِن منافِعِه، وثمراتِه، يُحرمون؛ لما أنَّهم أخطؤُوا طرائقَه، وترَكوا شرائطَه، وكلُّ مَن أخطَأ الطريقَ ضـــلَّ، ولا ينالُ المقصودَ قلَّ أو جلَّ) [1].

قال شيخُ الحنابلةِ في عصرِه ابنُ بدرانَ: (اعلَمْ أنَّ كثيراً مِن الناسِ يَقْضون السنينَ الطوالَ في تعلُّمِ العلمِ، بل في علمٍ واحدٍ، ولا يحصلُون منه على طائلٍ، ورُبَّما قَضَوْا أعمارَهم فيه، ولم يَرتقُوا عن درجةِ المبتـــدئين، وإنَّما يكونُ ذلك لأحدِ أمْرَيْن:

أحدُهما: عدمُ الذكاءِ الفطريِّ، وانتفاءُ الإدراكِ التصوريِّ، وهذا لا كلامَ لنا فيه، ولا في علاجِه. والثاني: الجهلُ بطُرُقِ التَّعليمِ) [2].

٣- التلقِّي من أفواه العلماء:

ما أحسنَ توجيهَ الزرنوجيِّ لطالبِ العلمِ حينَ قالَ:

(ويَنبغي لطالبِ العلمِ، أن لا يختارَ نوعَ العلمِ بنفسِه، بل يفـــوِّضُ أمرَه إلى الأستاذِ؛ فإنَّ الأستاذَ قد حصَل له التجاربُ في ذلـــك، فكـــان أعرفَ بما ينبغي لكلِّ أحدٍ، وما يليقُ بطبيعتِه، وكان الشيخُ.. برهانُ الدينِ يقولُ رحِمه اللهُ: كان طلبةُ العلمِ في الزمنِ الأولِ يُفوِّضـــونَ أمـــرَهم في

(١) (تعليم المتعلم، للزرنوجي) (ص٢).

(٢) (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، لابن بدران) (١/٢٦٥).

التعلمِ إلى أستاذِهم، فكانوا يَصِلون إلى مقصودِهم، ومرادِهم، والآنَ يختارون بأنفسِهم، فلا يحصلُ مقصودُهم مِن العلمِ، والفقهِ)(١).

قال الشيخُ بكر أبو زيدٍ:

(الأصلُ في الطلبِ، أن يكونَ بطريقِ التَّلْقينِ، والتَّلقِّي عن الأساتيذِ، وقد قِيل: مَن دخَل في العلمِ وحدَه؛ خرَج وحدَه. أي: مَن دخَل في طلبِ العلمِ بلا شيخٍ؛ خرَج منه بلا علمٍ؛ إذ العلمُ صنعةٌ، وكلُّ صنعةٍ تحتاجُ إلى صانعٍ، فلا بدَّ إذاً لتعلُّمِها مِن مُعلِّمِها الحاذقِ.

وكان أبو حيَّانَ كثيراً ما يُنشِدُ:

يظنُّ الغَمْرُ أنَّ الكُتْبَ تَهْدِي ... أخَا فَهْمٍ لإدراكِ العلومِ
وما يَدْري الجهولُ بأنَّ فيها ... غوامضَ حيَّرتْ عقلَ الفهيمِ
إذا رُمتَ العلومَ بغيرِ شيخٍ ... ضَللتَ عن الصِّراطِ المستقيمِ
وتلتبسُ الأمورُ عليك حتَّى ... تصيرَ أضلَّ مِن تُومَا الحكيمِ) (٢)

ذكَر الشَّاطبيُّ في معرضِ حديثِه عن اتِّفاقِ الناسِ على افتقارِ الجاهلِ إلى المعلِّمِ، قولَ بعضِهم: (إنَّ العلمَ كان في صدورِ الرِّجالِ، ثمَّ انتقَلَ إلى الكتبِ، وصارَتْ مفاتحُه بأيْدِي الرِّجالِ).

قال الشاطبيُّ معلقاً على ذلك: (وهذا الكلامُ يقضي بأن لا بدَّ في تحصيلِه مِن الرجالِ؛ إذ ليسَ وراءَ هاتين المرتبتين مَرْمى عندَهم، وأصلُ

(١) (تعليم المتعلم) (ص١٠).

(٢) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد، بتصرف) (ص٢٤،٢٢).

هذا في الصحيحِ: ((إنَّ اللهَ لا يقبضُ العلمَ انتزاعاً ينتزعُه مِن الناسِ، ولكنْ يقبِضُه بقَبضِ العُلماءِ...)) الحديثَ[١]، فإذا كان كذلك؛ فالرِّجالُ هم مفاتِحُه بلا شكٍّ)[٢].

٤- انظر.. عمن تأخذ دينك ؟

قال الزرنوجيُّ: (يَنْبَغي أن يختارَ الأعلمَ، والأورعَ، والأسنَّ، كما اختارَ أبو حنيفةَ رحِمه اللهُ حمَّادَ بنَ سليمانَ رحِمــه اللهُ، بعــدَ التأمــلِ والتفكرِ، وقال: وجدْتُه شيخاً، وقوراً، حليماً، صبوراً . وقال : ثبتُّ عندَ حمادِ بنِ سليمانَ فنبتُّ)[٣].

قال مالكٌ: (لا يُؤخذُ العلمُ مِن أربعةٍ، ويُؤخذُ ممنْ سِوَى ذلك: لا يُؤخذُ مِن سفيهٍ معلنٍ بالسَّفهِ، وإن كان أروَى الناسِ، ولا يؤخذُ مِن كذَّابٍ، يكذِبُ في أحاديثِ الناسِ، إذا جُرِّب ذلك عليه، وإن كان لا يُتَّهم أن يكذِبَ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ولا مِن صاحبِ هوًى يدعُو الناسَ إلى هواه، ولا مِن شيخٍ له فضلٌ، وعبادةٌ، إذا كان لا يعرِفُ ما يُحدِّثُ)[٤].

قال ابنُ جماعةَ: (يَنبغِي للطالبِ أنْ يقدِّمَ النَّظرَ، ويستخيرَ اللهَ فيمن

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العــاص رضي الله عنهما.

(٢) (الموافقات، للشاطبي) (١/١٤٠).

(٣) (تعليم المتعلم، للزرنوجي) (ص٦).

(٤) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (١/٢١٢).

يأخذُ العلمَ عنه، ويكتسبَ حسنَ الأخلاقِ، والآدابَ منه، وليكنْ إن أمكَن ممنْ كملَتْ أهليتُه، وتحقَّقتْ شفقتُه، وظهرَتْ مروءتُه، وعُرفتْ عِفَّتُه، واشتهرَتْ صيانتُه، وكان أحسنَ تعليماً، وأجودَ تفهيماً، ولا يرغبُ الطالبُ في زيادةِ العلمِ، معَ نقصٍ في ورعٍ، أو دينٍ، أو عدمِ خُلقٍ جميلٍ، فعن السَّلفِ: (هذا العِلمُ دينٌ، فانْظُروا عمَّنْ تأخُذون دينَكم)[(١)].

قال جعفرُ بنُ محمدٍ: (إذا رأيتُم العالمَ محبًّا لدُنياه؛ فاتَّهِمُوه على دينِكم، فإنَّ كلَّ محبٍّ لشيءٍ يحوطُ ما أحبَّ)[(٢)].

قال الذهبيُّ: (قرأتُ بخطِّ الشيخِ الموفقِ قال: سمِعنا درسَه – أي: ابنِ أبي عصرونَ – مع أخي أبي عمرَ وانقَطعْنا، فسمِعتُ أخي يقولُ: دخلتُ عليه بعدُ، فقال: لِمَ انْقَطعتُم عنِّي ؟ قلتُ: إنَّ أناساً يقولون: إنَّك أشعريٌّ، فقال: واللهِ ما أنا أشعريٌّ. هذا معنَى الحكايةِ)[(٣)].

٥- اتباع خير القرون:

أوصَى الإمامُ شيخُ الإسلامِ أبو عمروٍ الأوزاعيُّ تلميذَه بقيَّةَ بنَ الوليدِ بوصيةٍ، فقال: (يا بقيةُ، العلمُ ما جاءَ عن أصحابِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وما لم يَجِئْ عن أصحابِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، فليسَ بعلمٍ، يا بقيَّةُ لا تذكُرْ أحداً مِن أصحابِ محمدٍ نبيِّك صلَّى اللهُ عليه وسلم إلا بخيرٍ، ولا أحداً مِن أُمَّتِك، وإذا سمِعتَ أحداً يقعُ في غيرِه، فاعلمُ أنَّه

---

(١) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة) (ص٨٥).

(٢) (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر) (١/٦٧٠).

(٣) (سير أعلام النبلاء، للذهبي) (٢١/١٢٩).

إنَّما يقولُ: أنا خيرٌ منه)[١].

قال مالكٌ وقد ذُكِر له كتابُه الموطأُ: (فيه حديثُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وقولُ الصحابةِ والتابعين ورأيُهم، وقد تكلَّمتُ برَأْيي على الاجتهادِ، وعلى ما أدركتُ عليه أهلَ العلمِ ببلدِنا، و لم أخرُجْ عن جملتِهم إلى غيرِه)[٢].

وقال أحمدُ بنُ حنبلٍ: (إذا كان في المسألةِ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم حديثٌ؛ لم نأخُذْ فيها بقولِ أحدٍ مِن الصحابةِ و لا مَن بعدَهم خلافَه، وإذا كان في المسألةِ عن أصحابِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قولٌ مختلفٌ، نختارُ مِن أقاويلِهم، و لم نخرُجْ عن أقاويلِهم إلى قولِ مَن بعدَهم، وإذا لم يكُنْ فيها عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولا عن الصحابةِ قولٌ، نختارُ مِن أقوالِ التَّابعِين)[٣].

قال الشيخُ بكر أبو زيدٍ: (كنْ سلفيًّا على الجادَّةِ، طريقِ السَّلفِ الصالحِ مِن الصحابةِ رضِي اللهُ عنهم، فمَن بعدَهم ممنْ قفَا أثرَهم في جميعِ أبوابِ الدِّينِ، مِن التوحيدِ، والعباداتِ، ونحوِها، متميزاً بالتزامِ آثارِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وتوظيفِ السننِ على نفسك، وتركِ الجدالِ، والمراءِ، والخوضِ في علمِ الكلامِ، وما يجلِبُ الآثامَ، ويصدُّ عن الشرعِ)[٤].

(١) (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر) (٧٦٩/١).
(٢) (ترتيب المدارك، للقاضي عياض) (٧٣/٢).
(٣) (المسودة، لآل تيمية) (٢٧٦/١).
(٤) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد) (ص٨).

❖ طبقات العلم:

روَى نوحٌ الجامعُ، عن أبي حنيفةَ أنَّه قال: (ما جاءَ عن الرسـولِ صلى الله عليه وسلم، فعلى الرأسِ والعينِ، وما جاءَ عن الصحابةِ اخترنا، وما كان مِن غيرِ ذلك، فهم رجالٌ ونحن رجالٌ)(١).

وقال الشافعيُّ: (العلمُ طبقاتٌ:

الأُولَى: الكتابُ والسنةُ، إذا ثبَتت السنةُ.

ثم الثانيةُ: الإجماعُ، فيما ليس فيه كتابٌ ولا سنةٌ.

والثالثةُ: أنْ يقولَ بعضُ أصحابِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولا نعلمُ له مخالفاً منهم.

والرابعةُ: اختلافُ أصحابِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلَّم، ورضِـي عنهم.

والخامسةُ: القياسُ على بعضِ هذه الطبقاتِ، ولا يُصارُ إلى شيءٍ غيرِ الكتابِ والسنةِ، وهما موجودان، وإنما يُؤخَذُ العلمُ مِن أعلَى)(٢).

(قال الرَّبيعُ: سمعتُ الشافعيَّ يقولُ، وسألَه رجلٌ عن مسألةٍ فقال: يُروَى عن النبيِّ أنَّه قال كذا وكذا. فقال له السائلُ: يا أبا عبدِالله، أتقولُ بهذا؟ فارتَعدَ الشافعيُّ، واصفرَّ، وحالَ لونُه، وقال: وَيْحـكَ، أيُّ أرضٍ تُقِلُّني وأيُّ سماءٍ تُظِلُّني، إذا روَيتُ عن رسولِ اللهِ صلى الله عليـه وسـلم

(١) (سير أعلام النبلاء، للذهبي) (٦/٤٠١).

(٢) (المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي) (١/١١٠).

شيئاً فلم أَقُلْ به؟ نَعمْ، على الرأسِ والعينِ)[١].

وقال الإمامُ أحمدُ: (إيَّاك أنْ تتكلمَ في مسألةٍ، ليس لـك فيها إمامٌ)[٢].

وقال ابنُ رَجبٍ: (وفي زمانِنا يتعينُ كتابةُ كلامِ أئمةِ السَّلفِ المقتدَى بهم إلى زمنِ الشافعيِّ، وأحمدَ، وإسحاقَ، وأبي عُبيدٍ، وليكُنِ الإنسانُ على حذرٍ مما حدَث بعدَهم؛ فإنَّه حدَثتْ بعدَهم حوادثُ كثيرةٌ، وحدثَ مَن انتسبَ إلى متابعةِ السنةِ والحديثِ، وهو أشدُّ مخالفةً لها؛ لشذوذِه عن الأئمةِ، وانفرادِه عنهم بفهمٍ يفهمُه، أو يأخذُ ما لم يأخذْ به الأئمةُ مِن قبلِه)[٣].

وقال أيضاً: (وفي كلامِهم – أي: السلفِ – كفايةٌ وزيادةٌ، فلا يُوجدُ في كلامِ مَن بعدَهم مِن حقٍّ، إلا وهو في كلامِهم موجودٌ، بأوجزِ لفظٍ، وأخصرِ عبارةٍ، ولا يوجدُ في كلامِ مَن بعدَهم مِن باطلٍ، إلا وفي كلامِهم ما يُبينُ بطلانَه لمن فهِمه وتأمَّلَه، ويوجدُ في كلامِهم مِن المعاني البديعةِ، والمآخذِ الدقيقةِ، ما لا يَهتدي إليه مَن بعدَهم، ولا يُلِمُّ به، فمَن لم يأخُذِ العلمَ مِن كلامِهم فاتَه ذلك الخيرُ كلُّه، معَ ما يقعُ في كثيرٍ مِن الباطلِ، متابعةً لمن تأخَّر عنهم)[٤].

---

(١) (طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي) (٢/١٣٨).

(٢) (مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي) (ص١٧٨).

(٣) (بيان فضل علم السلف على علم الخلف، لابن رجب، بتصرف) (ص٦٩).

(٤) (بيان فضل علم السلف، لابن رجب) (ص٦٨).

٦- الزم قولاً.. ولا تتشوَّش:

على الطالبِ (أن يحذرَ في ابتداءِ أمرِه مِن الاشتغالِ في الاختلافِ بينَ العلماءِ، أو بينَ الناسِ مطلقاً في العقلياتِ، والسمعياتِ؛ فإنَّه يُحيِّرُ الذِّهنَ ويدهشُ العقلَ، بل يتقنُ أولاً كتاباً واحداً، في فنٍّ واحدٍ، أو كتباً في فنونٍ إن كان يحتملُ ذلك.

أمَّا إذا تحقَّقتْ أهليَّةُ المتعلِّمِ، وتأكَّدتْ معرفتُه، فالأَوْلَى أن لا يدعَ فنًّا مِن العلومِ الشرعيةِ إلا نظَر فيه، فإنْ ساعدَه طولُ العمرِ على التبحُّرِ فيه، فذاك، وإلا فقد استفادَ منه ما يخرُجُ به مِن عداوةِ الجهلِ بذلك العلمِ، ويعتني مِن كلِّ علمٍ بالأهمِّ فالأهمِّ، ولا يغفلَنَّ عن العملِ الذي هو المقصودُ بالعلمِ)[١].

٧- خطوة.. خطوة:

التدرُّجُ في طلبِ العلمِ وحفظِه أمرٌ مهمٌّ، فلا يَستعجلِ طالبُ العلمِ الثمرةَ، فيُعاقَبَ بالحرمانِ، وما يأتي سريعاً يذهبُ سريعاً.

قال الزهريُّ ليونسَ بنِ يزيدَ: (يا يونسُ، لا تكابرِ العلمَ؛ فإنَّ العلمَ أوديةٌ، فأيُّها أخذتَ فيه، قطَع بك قبلَ أنْ تبلُغَه، ولكن خُذْه معَ الأيامِ والليالي، ولا تأخُذِ العلمَ جملةً؛ فإنَّ مَن رامَ أخْذَه جملةً ذهَب عنه جملةً، ولكنْ الشيءُ بعدَ الشيءِ معَ الليالي والأيامِ)[٢].

قال ابنُ عبدِالبرِّ: (طلبُ العلمِ درجاتٌ، ومناقلُ، ورتبٌ، لا ينبغي

---

(١) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة، بتصرف) (ص ١١٦ – ١٢٠).

(٢) (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر) (١/٤٣١).

تعدِّيها، ومَن تعدَّاها جملةً فقد تعدَّى سبيلَ السلفِ رحِمهم الله، ومَن تعدَّى سبيلَهم عامداً ضلَّ، ومَن تعدَّاه مجتهداً زلَّ)[١].

قال الشيخُ بكر أبو زيدٍ: (فأمامَك أمورٌ لابدَّ مِن مراعاتِها في كلِّ فنٍّ تطلبُه:

- حفظُ مختصَرٍ فيه.
- ضبطُه على شيخٍ متقنٍ.
- عدمُ الاشتغالِ بالمطولاتِ وتفاريقِ المصنفاتِ قبلَ الضبطِ والإتقانِ لأصلِه.
- لا تنتقلْ مِن مختصَرٍ إلى آخرَ بلا موجبٍ، فهذا مِن بابِ الضجرِ.
- اقتناصُ الفوائدِ والضوابطِ العلميةِ.
- جمعُ النفسِ للطلبِ والتَّرقِّي فيه، والاهتمامُ والتحرقُ للتحصيلِ والبلوغِ إلى ما فوقَه)[٢].

❖ خذ بقدر ما تطيق:

قال الخطيبُ البغداديُّ: (ولا يأخذُ الطالبُ نفسَه بما لا يطيقُه، بل يقتصِرُ على اليسيرِ الذي يضبطُه، ويُحكِمُ حفظَه ويُتقِنُه.

قال إسماعيلُ بنُ عُلَيَّةَ: كنتُ أسمعُ مِنْ أيُّوبَ خمسةً، ولو حدَّثني بأكثرَ مِن ذلك ما أردتُ) .

---

(١) (المصدر السابق) (١١٢٩/٢).

(٢) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد) (ص ١٨ - ١٩).

قال سُفيانُ الثوريُّ: كنتُ آتي الأعمشَ ومنصوراً، فأسمعُ أربعةَ أحاديثَ، خمسةً، ثم أنصرفُ، كراهةَ أن تكثُرَ وتَفلَّتَ.

وعن شُعبةَ قال: كنتُ آتي قتادةَ، فأسألُه عن حديثين، فيحدِّثُني، ثمَّ يقولُ: أزيدُكَ؟ فأقولُ: لا، حتى أحفظَهما وأُتقنَهما) [1].

٨- ابدأْ بالأَوْلَى، فالأَوْلَى:

مِن توجيهاتِ أبي العباسِ بنِ قدامةَ المقدسيِّ لطالبِ العلمِ المبتدئِ، قولُه:

(ابتدِئْ بكتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ثم بسنَّةِ رسولِه صلى اللهُ عليه وسلَّم، ثمَّ بعلومِ القرآنِ مِن التفسيرِ ومِن ناسخٍ ومنسوخٍ، ومحكمٍ ومتشابهٍ، إلى غيرِ ذلك، وكذلك في السنةِ، ثم اشتغِلْ بالفروعِ وأصولِ الفقهِ، وهكذا بقيَّةُ العلومِ على ما يتسعُ له العمرُ، ويساعدُ فيه الوقتُ، ولا تستغرقْ عمرَك في فنٍّ واحدٍ منها؛ طلباً للاستقصاءِ؛ فإنَّ العلمَ كثيرٌ والعمرَ قصيرٌ)[2].

قال الزَّبيديُّ نقلاً عن صاحبِ الذريعةِ: (يجبُ أن لا يخوضَ طالبُ العلمِ في فنٍّ حتى يتناولَ مِن الفنِّ الذي قبلَه على الترتيب بُلْغَتَه، ويقضي منه حاجتَه، فازدحامُ العلمِ في السمعِ مضلةُ الفهمِ... فيجبُ أنْ يقدِّمَ الأهمَّ فالأهمَّ، مِن غيرِ إخلالٍ في الترتيبِ، وكثيرٌ مِن الناسِ مُنِعُوا الوصولَ لتركِهم الأصولَ؛ وحقُّه أن يكونَ قصدُه مِن كلِّ علمٍ يتحرَّاه، التبلُّغَ به

---

(١) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، للخطيب، بتصرف) (١/٣٥٤- ٣٥٦).

(٢) (مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة) (ص٣٠ – ٣١).

إلى ما فوقَه، حتى يبلغَ النهايةَ)[١].

٩- مراحل التعلم:

(كان المأمونُ يُوصي بعضَ بنيه، فيقولُ: اكتبْ أحسنَ ما تسمعُ، واحفظْ أحسنَ ما تكتبُ، وحدِّثْ بأحسنِ ما تحفظُ)[٢].

وقال ابنُ المباركِ: (أوَّلُ العلمِ النيةُ، ثم الاستماعُ، ثم الفهمُ، ثم الحفظُ، ثم العملُ، ثم النشرُ)[٣].

١٠- أدوات تحصيل العلم:

أ- السماع والكتابة:

قال بعضُهم: (كنتُ عندَ بعضِ العلماءِ، فكنتُ أكتبُ عنه بعضاً، وأدعُ بعضاً، فقال لي: اكتبْ كلَّ ما تسمعُ، فإنَّ أخسَّ ما تسمعُ خيرٌ مِن مكانه أبيض)[٤].

قال الشيخُ عبدُالكريمِ الخضير: (التجربةُ أثبتَتْ أنَّه كلَّما سهلَ الحصولُ على الكتاب، أو على المعلومةِ ضعُفَتِ الإفادةُ.

خشِيَ العلماءُ على التحصيلِ مِن جرَّاءِ الطباعةِ؛ فأفتَى علماءُ الأزهرِ بتحريمِ طباعةِ الكتبِ الشرعيةِ، فأذِنوا بطباعةِ كتبِ التاريخِ والأدبِ واللغةِ وغيرِها، أمَّا الكتبُ الشرعيةُ فلا، وكان طالبُ العلمِ في

---

(١) (إتحاف السادة المتقين، للزبيدي ، بتصرف) (١/٥٤٣).

(٢) (تقييد العلم، للخطيب البغدادي) (ص١٤١).

(٣) (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر) (١/٤٧٦).

(٤) (الحيوان، للجاحظ) (١/٥٨).

السابقِ إذا احتاجَ إلى كتاب، اضْطُرَّ إلى نسخِه.

ومعاناةِ الكتابةِ أفضلُ مِن القراءةِ مراراً، فأنت إذا احتجْتَ إلى كتاب، لا بدَّ أنْ تكتبَ الكتابَ، أو تستعيرَه، وتنسخَه، أو تُدوِّنَ ما يهمُّكَ منه، هل هذا مثل أن تذهبَ إلى مكتبةٍ وتشتريَ كتاباً، وترصَّه معَ إخوانه في الأدراجِ؟!)(١).

قال الفِرَبْريُّ: (كنتُ معَ محمدِ بنِ إسماعيلَ بمترِلِه ذاتَ ليلةٍ، فأحصيتُ عليه أنَّه قامَ، وأسْرجَ، يستذكرُ أشياءَ يعلقُها في ليلةٍ، ثمانِ عشرةَ مرةً)(٢).

وحكَى الحُمَيديُّ عن الشافعيِّ لَمَّا كانا بمصرَ، أنَّه كان يخرجُ في بعضِ الليالي، فإذا مصباحُ مترلِ الشافعيِّ مُسرَجٌ، فيصعَدُ إليه، فإذا قرطاسٌ ودواةٌ، قال الحميديُّ: فأقولُ: مَهْ يا أبا عبدِالله! فيقولُ: (تفكَّرتُ في معنَى حديثٍ - أو في مسألةٍ - فخفتُ أنْ يذهبَ عليَّ، فأمرتُ بالمصباحِ، وكتَبْتُه)(٣).

وفي ترجمةِ أبي الفرجِ ابنِ الجَوْزيِّ صاحبِ التصانيفِ الكثيرةِ أَنَّهُ: (كانَ لا يضيعُ من زمانهِ شيئاً، يكتبُ في اليومِ أربعَ كراريسَ، ويرتفعُ لَهُ كلَّ سنةٍ من كتابَتِهِ، ما بينَ خمسينَ مجلداً إلى ستينَ)(٤).

---

(١) (كيف يبني طالب العلم مكتبته، للخضير).

(٢) (سير أعلام النبلاء، للذهبي) (٤٠٤/١٢).

(٣) (آداب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم) (ص٤٤،٤٥).

(٤) (ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب) (٤١٢/١).

وقالَ سِبْطُهُ: (إنَّهُ سمعَهُ على المنبرِ في آخرِ عمرِهِ، يقولُ: كتبتُ بإصبعِي هاتينِ، أَلفَي مجلدةٍ)[١].

فائدة:

❖ الكتب الجامعة للفوائد:

دوَّن كثيرٌ مِن العلماءِ فوائدَهم في كتبٍ مُفردةٍ، مثل:

١-(الفنون)، لابنِ عَقيلٍ، وهو مِن أضخمِ الكتبِ.

٢-(الفوائد العونية)، للوزيرِ ابنِ هبيرةَ.

٣-(صيد الخاطر)، لابنِ الجوزيِّ.

٤-(قيد الأوابد)، في (٤٠٠ مجلد)، للدعوليِّ.

٥-(عيون الفوائد)، في (٦ أسفار)، لابنِ النَّجَّارِ.

٦-(بدائع الفوائد)، و(الفوائد)، لابنِ القيِّمِ.

٧-(التذكرة)، في (٥٠ مجلدا)، للكنديِّ.

٨-(مجمع الفوائد ومنبع الفرائد)، في نحوِ (١٠٠ مجلد)، للمقريزيِّ كالتذكرةِ له.

٩-تذكرة السيوطيِّ في أنواعِ الفنونِ في (٥٠ مجلدا)، وغيرُها كثيرٌ.

ب- الحفظ:

قال العسكريُّ: (الحفظُ لا يكونُ إلا مع شِدَّةِ العنايةِ، وكثرةِ الدرسِ، وطولِ المذاكرةِ. والمذاكرةُ حياةُ العلمِ، وإذا لم يكنْ درسٌ، لم

(١) (ذيل طبقات الحنابلة) (١/٤١٠).

يكنْ حفظٌ، وإذا لم تكنْ مذاكرةٌ، قلَّتْ منفعةُ الدرسِ، ومَن عوَّل على الكتابِ، وأخلَّ بالدرسِ والمذاكرةِ، ضاعَتْ ثمرةُ سَعْيه، واجتهادِه في طلبِ العلمِ...

وأنشَدَ النَّظَّامُ قولَ محمدِ بنِ البشيرِ:

أما لو أعِي كلَّ ما أسمعُ وأحفظُ مِن ذاك ما أجمعُ

ولم أستفدِ غيرَ ما قدْ سمِعتُ لقِيلَ هو العالمُ المصقعُ

ولكنَّ نَفْسِي إلى كلِّ شيءٍ مِن العلمِ تسمعُه تترعُ

فلا أنا أحفظُ ما قدْ جمعتُ ولا أنا مِن جمعِه أشبعُ

وأحضرُ بالصمتِ في مَجْلسِي وعِلْمِي في الكتبِ مُستودَعُ

ومَن يَكُ في علمِه هكذا يكنْ دهرَه القَهْقَرَى يرجعُ

إذا لم تكنْ حافظاً واعياً فجمعُك للكُتْبِ لا ينفعُ

وكان الخليلُ بنُ أحمدَ يقولُ: اجعلْ ما في كتابِك رأسَ المالِ، وما في صدرِكَ للنفقةِ.

وقال الزُّهريُّ: إنَّ الرجلَ ليطلبُ، وقلبُه شعبٌ مِن الشِّعابِ، ثم لا يلبثُ أن يصيرَ وادياً، ولا يوضعُ فيه شيءٌ إلا الْتَهَمَهُ.

يريدُ أنَّ أولَ الحفظِ شديدٌ، يشقُّ على الإنسانِ، ثمَّ إذا اعتادَه سهلَ، ومصداقُ ذلك ما أخبرَ به الشيخُ أبو أحمدَ عن الصوليِّ عن الحارثِ ابنِ أُسامةَ قال: كان العلماءُ يقولون: كلُّ وِعاءٍ أفرَغْتَ فيه شيئاً فإنَّه يضيقُ، إلا القلبَ، فإنَّه كلَّما أُفرِغ فيه اتَّسعَ.

وينبغي للدارسِ أنْ يرفعَ صوتَه في درسِه، حتى يُسْمِعَ نَفْسَه، فإنَّ ما سمِعتْه الأُذنُ، رسخَ في القلبِ؛ ولهذا كان الإنسانُ أوعَى لما يسمَعُه منه لِمَا يقرأُه.

وحُكِي عن أبي حامدٍ أنَّه كان يقولُ لأصحابِه: إذا دَرسْتُم فارْفَعُوا أصواتَكم؛ فإنَّه أثبتُ للحفظِ؛ وأذهبُ للنومِ.

وكان يقولُ: القراءةُ الخفيةُ للفهمِ، والرفيعةُ للحفظِ والفهمِ.

وكان ابنُ الفُراتِ لا يتركُ كلَّ يومٍ إذا أصبَحَ، أن يحفظَ شيئاً وإنْ قَلَّ)[1].

(وقال الخليلُ بنُ أحمدَ: تكثَّرْ مِن العلمِ لتعرفَ، وتقلَّلْ مِنه لتحفظَ.

وقال أبو إسحاقَ: القليلُ والكثيرُ للكتبِ، والقليلُ وحدَه للصَّدْرِ)[2].

❖ للحفظِ طريقتانِ ولكلٍّ منهما ميزاتُها وعيوبُها:

(**الطريقةُ الأولَى**:

وهي أنفعُ للصِّغارِ والشبابِ ومَن أُوتِي موهبةَ الحفظِ: وهي بأنْ يُقرِّرَ الطالبُ على نفسِه لكلِّ يومٍ جزءاً يسيراً مِن العلمِ، كأنْ يكونَ حديثاً، أو حديثين، أو أكثرَ، ويُستَحسَنُ أنْ يكونَ قدراً يسيراً، فإنَّ القليلَ يثبتُ، والكثيرَ لا يُحَصَّلُ؛ فيتحفظُ هذا المقرَّرَ يوميًّا، حتى يُغَيِّبَه في صدره. ويستمرُّ على ذلك فترةً طويلةً، هي سنواتُ طلبِه للعلمِ، مع تعهُّدِ المحفوظِ دائماً.

---

(١) (الحث على طلب العلم، للعسكري، بتصرف) (ص٦٧ - ٧٧).

(٢) (الحيوان، للجاحظ) (١/٥٨،٥٩).

الطريقةُ الثانيةُ:

وهي أنفعُ لكبارِ السنِّ ولمنْ لم يُؤْتَ موهبةَ الحفظِ: وتـــتلخَّصُ في إدمانِ مجالسةِ الكتبِ، وإدامةِ القراءةِ فيها، والجَلَدِ في ذلك والصبرِ عليـــه، مع الإكثارِ مِن النَّسْخِ والكتابةِ، وتعويدِ اليدِ على ذلك)[١].

❖ مِن الأسبابِ التي يُستعانُ بها على الحفظِ:

- اجتنابُ المحرماتِ وتركُ المنهياتِ

قال ابنُ مسعودٍ رضِيِ اللهُ عنه: (إنِّي لأحسبُ أنَّ الرَّجلَ يَنْسَـــى العِلمَ قد علِمَه بالذَّنبِ يعملُه)[٢].

وقال رجلٌ للإمامِ مالكٍ: (يا أبا عبدِالله، هل يصلحُ لهـــذا الحفـــظِ شيءٌ؟ قال: إنْ كانَ يصلحُ له شيءٌ فتركُ المعاصي)[٣].

- اغتنامُ الأوقاتِ المناسبةِ للحفظِ

رُوِي أنَّ المنذرَ قال للنُّعمانِ ابنِه: (يا بُنيَّ، أُحِبُّ لـــك النَّظـــرَ في الأدبِ بالليلِ، فإنَّ القلبَ بالنهارِ طائرٌ، وبالليلِ ساكنٌ، وكلَّما أوْعَيْتَ فيه شيئاً علقَه).

قال الخطيبُ البغداديُّ معلقاً على هذه الوصيةِ: (إنَّمـــا اخْتـــاروا المطالعةَ بالليلِ لخُلُوِّ القلبِ، فإنَّ خُلُوَّه يسرِعُ إليه الحفظُ، ولهذا لَّمـــا قِيـــل لحمَّادِ بنِ زيدٍ: ما أعونُ الأشياءِ على الحفظِ؟ قال: قِلَّةُ الغمِّ.

---

(١) (نصائح منهجية، لحاتم العوني،بتصرف) (ص٦٣،٦٢).

(٢) (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر) (٦٧٥/١).

(٣) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (٣٨٧/٢).

وليسَ تكونُ قِلَّةُ الغمِّ إلا معَ خُلُوِّ السرِّ وفراغِ القلبِ، والليلُ أقربُ الأوقاتِ إلى ذلك)[(١)].

- إحكامُ الحفظِ بكثرةِ تكريرِه

قال ابنُ الجوزيِّ: (الطريقُ في إحكامِه كثرةُ الإعـــادةِ، والنـــاسُ يَتَفاوتُون في ذلك، فمِنْهم مَن يثبتُ معه المحفوظُ معَ قلةِ التكرارِ، ومِـــنْهم مَن لا يحفظُ إلا بعدَ التكرارِ الكثيرِ.

وكانَ أبو إسحاقَ الشيرازيُّ، يُعِيدُ الدَّرْسَ مائةَ مرةٍ، وكان الكيا الهراسيُّ يعيدُ سبعينَ مرةً. وقال لنا الحسنُ بنُ أبي بكرٍ النيسابوريُّ الفقيهُ: لا يحصلُ الحفظُ إليَّ حتى يعادَ خمسينَ مرةً. وحكَى لنا الحسنُ أنَّ فقيهاً أعاد الدرسَ في بيتِه مراراً كثيرةً، فقالتْ له عجوزٌ في بيتِه: قد واللهِ حفِظْتُه أنا! فقال: أعِيدِيه، فأعادَتْه؛ فلمَّا كان بعدَ أيامٍ، قال: يا عجـــوزُ، أعِيـــدِي ذلـــك الدرسَ، فقالَتْ: ما أحْفَظُه، قال: إنِّي أُكرِّرُ عندَ الحفظِ لئلا يُصِيبَني مـــا أصابَك)[(٢)].

- الجهرُ بقراءةِ ما يُرادُ حفظُه

قالَ الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ: (دخَل عليَّ أبي وأنا أرْوِي في دفترٍ ولا أجهرُ، أرْوِي فيما بيني وبينَ نفسي، فقال لي: إنَّما لك مِن رِوايتِك هذه ما أدَّى بصرُك إلى قلبِك فإذا أردْتَ الروايةَ فانظُرْ إليها واجْهَرْ بها؛ فإنَّه يكونُ لك

(١) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (٢/٤٠٠ - ٤٠١).
(٢) (الحث على حفظ العلم، لابن الجوزي) (ص٢١).

ما أدَّى بصرُك إلى قلبِك، وما أدَّى سمعُك إلى قلبِك)[1].

❖ سعة حفظ بعض العلماء:

كان أبو رأسٍ المعسكريُّ – محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ القادرِ الجزائريُّ (ت:١٢٣٩) – يُذكَرُ بقوةِ حافظتِه، وسَعَةِ اطِّلاعِه، واتُّهِم بسببِ ذلك، وحُكِي (أنَّ جماعةً مِن تلاميذِه تذاكروا في قوةِ حافظتِه وكأنَّهم اتَّهمُوه بالاختلاقِ، فرَكَّبُوا اسْماً نطَق كلٌّ واحدٍ مِنهم بحرفٍ مِنه، وجَعَلوه اسماً لملِكٍ، وسألوا الشيخَ عنه، فأمْلَى لهم ترجمتَه، وسيرتَه وأعمالَه، فاتَّفَقوا أنَّ الشيخَ كاذبٌ!!.

ولَمَّا طالَتِ المدةُ، وقَف أحدُهم على الاسمِ والسيرةِ في كتابٍ تاريخيٍّ على نحوِ ما كانَ أملاه الشيخُ أبو رأسٍ عليهم، فعلِموا أنَّ الشيخَ صادقٌ، وهم مُقصِّرون مُتَّهِمون الشيخَ مِمَّا هو مِنه بريءٌ.
قال الكتانيُّ: وهذه حالةُ كبارِ الحفَّاظِ مع القاصِرينَ والجاهِلينَ)[2].

❖ ج- المذاكرة:

قال الخطيبُ: (ينبغي أنْ يتذاكرَ مواظِبو مجلسِ الشيخِ ما وقَع فيه مِن الفوائدِ، والضوابطِ، والقواعدِ، وغيرِ ذلك، وأنْ يُعِيدوا كلامَ الشيخِ فيما بينَهم، فإنَّ في المذاكرةِ نفعاً عظيماً، وتكونُ المذاكرةُ عندَ القيامِ مِن مجلسِه قبلَ تفرُّقِ أذهانِهم، وتشتُّتِ خواطِرِهم، وشُذوذِ بعضِ ما سمِعوه عن أفهامِهم ... وأفضلُ المذاكرةِ مذاكرةُ الليلِ، فإن لم يَجِدِ الطالبُ مَن

(١) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (٢/٤٠٢).
(٢) (فهرس الفهارس، للكتاني) (١/١٥١).

يذاكرُه، ذاكَر نفسَه بنفسِه، وكرَّرَ معنَى ما سمِعه، ولفظَه على قلبِه؛ ليعلقَ ذلك على خاطرِه؛ فإنَّ تَكرارَ المعنَى على القلبِ، كتكرارِ اللفظِ على اللسانِ، سواءً بسواءٍ، وقلَّ أنْ يُفلِحَ مَن يقتصرُ على الفكرِ والتعقلِ، بحضرةِ الشيخِ خاصةً، ثم يتركُه ويقومُ، ولا يعاودُه)[١].

وعن عليِّ بنِ الحسنِ بنِ شقيقٍ قال: (قُمْتُ معَ ابنِ المباركِ ليلةً باردةً، ليخرجَ مِن المسجدِ، فذاكَرَني عندَ البابِ بحديثٍ، وذاكَرْتُه، فما زال يُذاكِرُني، حتَّى جاءَ المؤذِّنُ، فأذَّنَ للفجرِ)[٢].

وعن عطاءٍ قال: (كنَّا نكونُ عندَ جابرِ بنِ عبدِاللهِ رضِي اللهُ عنهما، فيُحَدِّثُنا، فإذا خَرَجْنا مِن عندِه تذاكَرْنا حديثَه، فكان أبو الزُّبيرِ أحفظَنا للحديثِ)[٣].

وقال عبدُاللهِ بنُ المعتزِّ: (مَن أكثَرَ مذاكرةَ العلماءِ لم يَنْسَ ما علِم، واستفادَ ما لم يعلَمْ)[٤].

عن عبدِالعزيزِ بنِ أبي حازمٍ، قال: (قال أبي: كان الناسُ فيا مضَى مِن الزَّمانِ الأوَّلِ إذا لقِي الرَّجلُ مَن هو أعلمُ منه قال: اليومَ يومُ غُنْمِي. فيتعلمُ مِنه، وإذا لقِي مَن هو مثلُه قال: اليومَ يومُ مُذاكرتي. فيُذاكِرُه، وإذا لقِي مَن هو دونَه علَّمه، ولم يَزْهُ عليه، حتى صار هذا الزمانُ، فصار الرَّجلُ

---

(١) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة، بتصرف) (ص١٤٣- ١٤٥).
(٢) (تذكرة الحفاظ، للذهبي) (١/٢٧٧).
(٣) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (١/٣٦٥).
(٤) (المصدر السابق) (٢/٤١٥).

يَعِيبُ مَن فوقَه ابتغاءَ أنْ ينقطعَ منه حتَّى لا يَرَى النَّاسُ أن له إليه حاجةً، وإذا لقِي مَن هو مثلُه لم يُذاكِرْه، فهلَك الناسُ عندَ ذلك)[١].

وعن ابنِ عمرَ رضِي اللهُ عنهما أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّما مَثَلُ صاحبِ القرآنِ كمثلِ صاحبِ الإبلِ المعقَّلةِ، إنْ عاهَـدَ عليها أمْسكَها، وإنْ أطْلَقَها ذهَبتْ)) [٢].

قال الحافظُ ابنُ عبدِالبرِّ: (وفي هذا الحديثِ دليلٌ علَى أنَّ مَن لم يَتعاهَدْ عِلمَه ذهَب عنه أي مَن كان؛ لأنَّ عِلمَهم كان ذلك الوقتَ القرآنَ لا غيرُ، وإذا كان القرآنُ الميسرُ للذِّكْرِ يذهبُ إن لم يُتَعاهَدْ، فما ظَنُّكَ بغيرِه مِن العلومِ المعهودةِ؟! وخيرُ العلومِ ما ضُبِط أصلُه، واستُذْكِر فرعُه، وقادَ إلى اللهِ تعالَى، ودلَّ علَى ما يَرْضاه)[٣].

❖ الوسائلُ المعينةُ لطالبِ العلمِ:

- (أنْ يُقلِّلَ مِن نومِه، ما لم يَلْحَقْه ضررٌ في بدنِه وذهنِه، ولا يزيدُ في نومِه عن ثمانِ ساعاتٍ، إنِ احتَملَ حالُه أقلَّ مِن ذلك فعَل.

- أكْلُ القدرِ اليسيرِ مِن الحلالِ؛ فكثرةُ الأكـلِ جالبـةٌ لكثـرةِ الشربِ، ثمَّ كثرةِ النومِ، وحصولِ البلادةِ، وقصورِ الذِّهنِ، وفتورِ الحواسِّ، وكسلِ الجسمِ.

---

(١) (المصدر السابق) (٢/٢٧٦).

(٢)أخرجه البخاري(٥٠٣١) ومسلم (٧٨٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) (التمهيد، لابن عبد البر) (١٤/١٣٣-١٣٤).

قال القَحْطانيُّ في نُونِيَّته:

لا تحشُ بَطْنَكَ بالطَّعامِ تَسَـــمُّناً   فجُسومُ أهلِ العلـــمِ غــيرُ سمـــانِ
لا تَتَّبعْ شهواتِ نفسِك مُسْـــرفاً   فاللهُ يُـــبغِضُ عابـــداً شَهْوانِـــــي
أقلِلْ طعامَك ما استطَعْتَ فإنَّـــه   نَفْعُ الجُســـومِ وصـــحةُ الأبـــدانِ
وامْلكْ هواكَ بضَبْطِ بَطْنِك إنَّـــه   شرُّ الرِّجـــالِ العـــاجزُ البطنـــان

- أن يأخذَ نفسَه بالورعِ في جميعِ شؤونه، ويتحرَّى الحــلالَ في طعامِه وشرابِه ولباسِه ومسكنِه، وفي جميعِ ما يحتاجُ إليه هـــو وعيالُـــه؛ ليستنيرَ قلبُه، ويصلحَ لقبولِ العلمِ ونورِه والنفعِ به.

قال عبدُالله بنُ المباركِ:

يا طالبَ العِلمِ بـــادرِ الوَرَعَـــا   وهاجِرِ النَّـــومَ واهجُـــرِ الشِّـــبَعَا

- ألا يخالطَ في الغالبِ إلا مَن يُفيدُه أو يستفيدُ منه.

قال الزرنوجيُّ: (وأما اختيارُ الشريكِ فيَنْبغي أن يختـــارَ المُجِـــدَّ، والورِعَ، وصاحبَ الطبعِ المستقيمِ والمتفهمَ، ويفرَّ مِن الكسلانِ، والمعطلِ، والمكثارِ، والمفسدِ، والفتَّانِ)[1].

١١- الاهتمام بعلم الحديث:

❖ أهمية تعلم علم الحديث

للهِ دَرُّ القائلِ:

(ديـــنُ الـــنبيِّ محمـــدٍ أخبـــارُ   نِعْـــمَ المطيـــةُ للفتَـــى الآثـــارُ

(١) (من هدي السلف في طلب العلم، لمحمد بن مطر الزهراني، بتصرف) (٥٠-٥٤).

لا ترغبنَّ عنِ الحـــديثِ وأهلِـــه فالرأيُ ليـــلٌ والحـــديثُ نهـــارُ
ولرُبَّما غلطَ الفتَى سبلَ الهُـــدَى والشمسُ بازغةٌ لهـــا أنـــوارُ[١]

وأحْسنَ مَن قال:

دينُ الرسولِ وشـــرعُه أخبـــارُه و أجـــلُّ علـــمٍ يُقْتَنَـــى آثـــارُه
مَن كانَ مشتغِلاً بها وبنشـــرِها بينَ البريـــةِ لا عَفَـــتْ آثـــارُه[٢]

قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((إنَّ أوْلَى الناسِ بي يومَ القيامـــةِ أكثرُهم عليَّ صلاةً)) [٣]. وحسَّنه غيرُ واحدٍ.

قال ابنُ حِبَّانَ بعدَ إخراجِه هذا الحديثَ في صحيحِه: (في هـــذا الخبرِ دليلٌ علَى أنَّ أوْلَى الناسِ برسولِه صلَّى اللهُ عليه وســـلَّم في القيامـــةِ أصحابُ الحديثِ؛ إذْ ليسَ مِن هذه الأُمةِ قومٌ أكثرَ صلاةً عليه مِنهم)[٤].

وعلى طالبِ العلمِ (أنْ يبكِّرَ بسماعِ الحديثِ، ولا يهملَ الاشتغالَ به، وبعلومِه، والنَّظرَ في إسنادِه، ورجالِه، ومعانيه، وأحكامِه، وفوائـــدِه، ولغتِه، وتواريخِه، ويَعْتَني بمعرفةِ أنواعِه، صحيحِها، وحسنِها، وغيرِها؛ فإنَّ الحديثَ أحدُ جناحَيِ العلمِ بالشريعةِ، المبيِّنُ لكثيرٍ مِن الجناحِ الآخرِ، وهو القرآنُ، ولا يقنعَ بمجرَّدِ السَّماعِ، بل يَعْتَني بالدرايةِ أشـــدَّ مِـــنَ اعتنائِـــه

(١) (شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي) (ص٧٦).
(٢) (البلدانيات، للسخاوي) (ص٧٥).
(٣) أخرجه الترمذي (٤٨٤).
(٤) (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، لابن بلبان) (١٩٢/٣، ١٩٣).

بالروايةِ؛ لأنَّ الدرايةَ هي المقصودُ بنقلِ الحديثِ، وتبليغِه)[١].

قال أبو حاتمٍ: (قال لي أبو زُرْعَةَ: ما رأيتُ أحرصَ على طلبِ الحديثِ مِنك، فقلتُ له: إنَّ عبدَالرحمنِ ابني لحريصٌ. فقال: مَن أشبهَ أباه فما ظلَم). قال الرقامُ: (فسألتُ عبدَالرحمنِ عن اتِّفاقِ كثرةِ السماعِ لـه، وسؤالاتِه لأبيه، فقال: رُبَّما كان يأكلُ وأقرأُ عليه، ويَمْشِي وأقرأُ عليه، ويدخلُ الخلاءَ وأقرأُ عليه، ويدخلُ البيتَ في طلبِ شيءٍ وأقرأُ عليه) [٢].

- الحديثُ بينَ الروايةِ والدرايةِ:

قال الخطيبُ البغداديُّ: (كره مالكٌ، وابنُ إدريسَ، وغيرُهما الإكثارَ مِن طلبِ الأسانيدِ الغريبةِ، والطرقِ المستنكرةِ... مما يتتبَّعُ أصحابُ الحديثِ طرقَه، ويُعْنَوْن بجمعِه؛ والصحيحُ مِن طرقِه أقلُّها، وأكثرُ مَن يجمعُ ذلك الأحداثُ منهم، فيَتَحَفَّظونها، ويَذاكِرون بها، ولعلَّ أحدَهم لا يعرفُ مِن الصحاحِ حديثاً، وتَراه يذكرُ مِن الطرقِ الغريبةِ، والأسانيدِ العجيبةِ، التي أكثرُها موضوعٌ، وجلُّها مصنوعٌ، ما لا ينتفعُ بـه، وقد أذهَبَ مِن عمرِه جزءاً في طلبِه، وهذه العلةُ هي التي اقتطعَتْ أكثرَ مَن في عصرِنا مِن طلبةِ الحديثِ عن التفقُّهِ به، واستنباطِ ما فيه مِن الأحكامِ، وقد فعَل متفقِّهَةُ زمانِنا كفعلِهم، وسلَكُوا في ذلك سبيلَهم، ورغِبوا عن سماعِ السُّننِ مِن المحدِّثِين، وشغَلوا أنفسَهم بتصانيفِ المتكلِّمين، فكِلا الطَّائِفتَين

---

(١) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة، بتصرف) (ص١٢٦- ١٣٣).

(٢) (سير أعلام النبلاء، للذهبي) (١٣/٢٥٠،٢٥١).

ضيَّع ما يَعْنِيه، وأقبَلَ على ما لا فائدةَ فيه)[١].

- الحديث بين حفظ الرواية والرعاية:

قال الشيخُ بكر أبو زيدٍ: (ولْيَحذَرْ أن يجعلَه سبيلاً إلى نيلِ الأعراضِ، وطريقاً إلى أخذِ الأعواضِ، فقد جاءَ الوعيدُ لمن ابتغَى ذلك بعلمِه.

ولْيَتَّقِ المفاخرةَ والمباهاةَ به، وأنْ يكونَ قصدُه في طلبِ الحديثِ نيلَ الرئاسةِ، واتِّخاذَ الأتباعِ، وعقدَ المجالسِ؛ فإنَّ الآفةَ الداخلةَ على العلماءِ أكثرُها مِن هذا الوجهِ.

ولْيَجْعَلْ حفظَه للحديثِ حفظَ رعايةٍ لا حفظَ روايةٍ؛ فإنَّ رواةَ العلومِ كثيرٌ، ورعاتَها قليلٌ، ورُبَّ حاضرٍ كالغائبِ، وعالمٍ كالجاهلِ، وحاملٍ للحديثِ ليسَ معه مِنه شيءٌ؛ إذ كان في اطِّراحِه لحكمِه بمنزلةِ الذاهبِ عن معرفتِه وعلمِه)[٢].

١٢- الأدب مع المعلم:

(قال الشافعيُّ: كنتُ أصفحُ الورقةَ بينَ يديْ مالكٍ صفحًا رفيقاً؛ هيبةً له، لئلا يسمعَ وَقْعَها.

وقال الرَّبيعُ: واللهِ ما اجترأتُ أنْ أشربَ الماءَ والشافعيُّ ينظرُ إليَّ هيبةً له)[٣].

---

(١) (شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي) (١٣٠،١٢٩).

(٢) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد) (ص٣٨).

(٣) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة) (ص٨٨).

وذكَر الخطيبُ أنَّ على طالبِ العلمِ (أن يصبرَ على جفوةٍ تصدرُ مِن شيخِه أو سوءِ خلقٍ، ولا يصدَّه ذلك عنْ ملازمتِه وحسنِ عقيدتِـــه، ويتأولَ أفعالَه التي يظهرُ أنَّ الصوابَ خلافُها على أحسنِ تأويلٍ، ويبدأَ هو عندَ جفوةِ الشيخِ بالاعتذارِ والتوبةِ مما وقَع والاستغفارِ، وينسبَ الموجبَ إليه، ويجعلَ العَتْبَ عليه؛ فإنَّ ذلك أبقَى لمودةِ شيخِه، وأحفـــظُ لقلبِـــه، وأنفعُ للطالبِ في دُنياه وآخرتِه.

اصبِرْ لدائِك إنْ جفوتَ طبيبَه واصبِرْ لجهلِك إنْ جفوتَ معلمًا.

وأنْ يَشكُرَ الشيخَ على توقيفِه على ما فيه فضيلةٌ، وعلى توبيخِه على ما فيه نقيصةٌ، أو على كسلٍ يَعْتريه، أو قصورٍ يُعاينه أو غيرِ ذلك مما في إيقافِه عليه وتوبيخِه، إرشادُه وصلاحُه، ويعدُّ ذلك مِن الشيخِ مِن نِعَمِ اللهِ تعالى عليه باعتناءِ الشيخِ به ونظرِه إليه، فإنَّ ذلك أمثلُ إلى قلبِ الشيخِ وأبعثُ على الاعتناءِ بمصالحِه)[1].

قال أبو هلالٍ العَسكريُّ: (وجعَل الحكماءُ منزلةَ العلماءِ مثلَ منزلةِ الملكِ فقالوا: مِن أدبِ الداخلِ على العالمِ، أن يُسلِّمَ على أصحابِه عامَّـــةً، ويخصَّه بالتحيةِ، ويجلسَ قدَّامَه، ولا يشيرَ بيدِه، ولا يغمزَ بعينِه، ولا يقولَ بخلافِ قولِه، ولا يغتابَ عندَه أحداً، ولا يُسارَّ في مجلسِه، ولا يُلحَّ عليـــه إذا كسَل، ولا يُعْرِضَ عن كلامِه، فإنَّه بمنزلةِ النخلةِ، لا يزالُ يسقطُ عليك منها شيءٌ ينفعُك)[2].

---

(١) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة، بتصرف) (ص٩١ – ٩٣).

(٢) (الحث على طلب العلم، للعسكري) (ص٨٤).

قال الشيخُ بكر أبو زيدٍ: (فلْيكُنْ شيخُك محلَّ إجلالٍ منك وإكرامٍ وتقديرٍ وتلطفٍ، فخذْ بمجامعِ الآدابِ معَ شيخِك في جلوسِك معه، والتحدُّثِ إليه، وحسنِ السؤالِ والاستماعِ، وحسنِ الأدبِ في تصفُّحِ الكتابِ أمامَه ومع الكتابِ، وتركِ التطاوُلِ والمماراةِ أمامَه، وعدمِ التقدُّمِ عليه بكلامٍ أو مسيرٍ أو إكثارِ الكلامِ عندَه، أو مداخلتِه في حديثِه ودرسِه بكلامٍ مِنك، أو الإلحاحِ عليه في جوابٍ، متجنباً الإكثارَ مِن السؤالِ، ولا سيَّما مع شهودِ الملأِ، فإنَّ هذا يُوجبُ لك الغرورَ وله المللَ...)[١].

❖ بم تكون القدوة؟

قال الشيخُ بكر أبو زيدٍ: (القدوةُ بصالحِ أخلاقِه وكريمِ شمائلِه، أمَّا التلقِّي والتلقينُ فهو ربحٌ زائدٌ، لكن لا يأخذُك الاندفاعُ في محبةِ شيخِك فتقعَ في الشَّناعةِ مِن حيثُ لا تَدْري، وكلُّ مَن ينظرُ إليك يَدْري، فلا تقلِّدْه بصوتٍ ونغمةٍ، ولا مشيةٍ وحركةٍ وهيئةٍ، فإنَّه إنَّما صارَ شيخاً جليلاً بتلك، فلا تسقطْ أنت بالتبعيةِ له في هذه)[٢].

---

(١) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد) (ص٢٥).

(٢) (المصدر السابق) (ص٢٧).

رابعاً: إضاءات للثبات على الطريق

١- مِن عوائقِ طلبِ العلمِ:

- (طلبُ العلمِ لغيرِ وجهِ اللهِ تعالَى.
- تركُ العملِ.
- الاعتمادُ على الكتبِ دونَ العلماءِ.
- أخذُ العلمِ عن الأصاغرِ.
- عدمُ التدرجِ في العلمِ.
- الغرورُ والعُجْبُ والكِبرُ.
- استعجالُ الثمرةِ.
- دنوُّ الهمةِ.
- التَّسْويفُ.
- التَّمَنِّي)[١].

٢- احذرْ هذه الآفاتِ:

- (**حُلم اليقظةِ**، ومنه بأن تدَّعي العلمَ لِمَا لَمْ تعلَمْ، أو إتقانَ ما لَمْ تُتْقِنْ، فإنْ فعلتَ فهو حجابٌ كثيفٌ عن العلمِ.

- **ما يتسلَّى به المفْلِسون مِن العلمِ**، يُراجِعُ مسألةً أو مَسْألتين، فإذا كان في مجلسٍ فيه مَن يُشارُ إليه، أثارَ البحثَ فيهما، ليظهرَ علمُه!

---

(١) (عوائق الطلب، لعبد السلام برجس) (ص٩- ٧٤).

وكمْ في هذا مِن سوءةٍ، أقلُّها أن يعلمَ أنَّ الناسَ يعلمون حقيقتَه.

- **إذا ظفرْتَ بوهمٍ لعالمٍ، فلا تفرَحْ به للحظِّ منه**، ولكن افرَحْ به لتصحيحِ المسألةِ فقط، فإنَّ المنصفَ يكادُ يجزمُ بأنَّه ما مِن إمامٍ إلا وله أغلاطٌ وأوهامٌ، لا سيَّما المكثرين منهم.

وما يُشغبُ بهذا ويفرحُ به للتنقصِ إلا متعالمٌ يريدُ أن يطبَّ زُكاماً فيُحدثَ به جُذاماً[1].

قال الصَّنعانيُّ: (وليس أحدٌ مِن أفرادِ العلماءِ إلا وله نادرةٌ ينبغي أن تُغمرَ في جَنْبِ فضلِه وتُجتَنَبَ)[2].

وقال أبو هلالٍ العسكريُّ: (ولا يضعُ مِن العالمِ الذي بَرَعَ في علمِه زلةٌ، إن كان على سبيلِ السهوِ والإغفال؛ فإنَّه لم يَعْرُ مِن الخطأِ إلا مَنْ عصَمَ اللهُ جلَّ ذكرُه. وقد قالَتِ الحكماءُ: الفاضلُ مَن عُدَّتْ سقطاتُه، وليتَنا أدْرَكْنا بعضَ صوابِهم، أو كنَّا ممن يميِّزُ خطأَهم)[3].

- (**لا تجعلْ قلبَك كالسفنجةِ** تتلقَّى ما يرِدُ عليها، فاجْتَنبْ إثارةَ الشُّبهِ وإيرادَها على نفسِك أو غيرِك، فالشُّبَهُ خطَّافةٌ، والقلوبُ ضعيفةٌ، وأكثرُ مَن يُلْقِيها حمالةُ الحطبِ - المبتدعةُ - فتَوقَّهم)[4].

---

(١) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد، بتصرف) (ص٥٧) .

(٢) (سبل السلام، للصنعاني) (١٦٨/١).

(٣) (شرح ما يقع فيه التصحيف، للعسكري) (ص٦).

(٤) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد، بتصرف) (ص٥٩).

- لا تكنْ خُنفشاريًّا

قال الشيخُ بكر أبو زيدٍ: (الخنفشاريُّ المتعالمُ: مازال الناسُ يُبْتَلَوْن بهذا الطِّرازِ النكدِ مِن الخُنْفشاريينَ، فقد قرأتُ لدَى نقلةِ السِّيَرِ، ومُقيِّدي الأخبارِ والأثرِ، مثلاً منها في الغابرين، فعلى جادَّةِ المثال:

مُفتي الخنفشارِ: في كتبِ المحاضراتِ أنَّ رجلاً كان يُفتي كلَّ سائلٍ دونَ توقُّفٍ، فلحظَ أقرانُه ذلك منه، فأجْمَعوا أمرَهم لامتحانِه، بنحتِ كلمةٍ ليسَ لها أصلٌ هي الخنفشارُ فسألوه عنها، فأجابَ علَى البديهةِ: بأنَّه نبتٌ طيبُ الرائحةِ ينبتُ بأطرافِ اليمنِ، إذا أكلَتْه الإبلُ عقَد لبنَها، قال شاعرُهم اليَمَاني:

لقدْ عقَدَتْ محبَّتُكم فُؤادِي ... كمَا عقَدَ الحَلِيبَ الخُنفشارُ

وهذا الشيخُ محمدُ بدرُ الدينِ الحلبيُّ رحِمه اللهُ تعالى سألَ أزهريًّا عن أصيلالاً في بيتِ النابغةِ:

وَقَفْتُ فيها أُصَيْلالاً أُسائِلُها ... عَيَّتْ جَواباً وما بالرَّبْعِ مِنْ أحَدِ

فقال الأزهريُّ: أَصِيل بفتحِ الهمزةِ، وكسرِ الصادِ، ولا نافيةٌ للفعلِ بعدَها. فقُلْنا: لا، بل (أُصيلالاً) كلُّها كلمةٌ واحدةٌ، والفعلُ بعدَها مثبتٌ. فضحِك، وقال: يقولُ اللهُ ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب: ٤٢] وتقولون أصيلالاً)! [١].

(١) (التعالم، لبكر أبو زيد، بتصرف) (ص١٥،١٩).

- تجنَّبْ تتبعَ الرخصِ والأقوالِ الشاذةِ

قال سليمانُ التَّيْميُّ: (إن أخذْتَ برخصةِ كلِّ عالمٍ اجتمعَ فيك الشرُّ كلُّه)[1].

وقال الشيخُ بكر: (ولَّما كان في الشذوذِ والترخُّصِ، منابذةٌ للشرعِ، صانَ السَّالفون دينَهم وعِلمَهم عن ذلك، وقد يقعُ لدَى الواحدِ منهم، أو في المذهبِ: المسألةُ أو المسألتان عن عارضٍ مِن الاستدلالِ انْقدحَ بذهنِه لا للتشهِّي لكن ما يلبثُ أن يَؤُوبَ، أو يقفَ القولُ عندَ قائلِه، فيُهجرَ ذلكم الرأيُ، ويسيرُ أهلُ العلمِ على الجادَّةِ، ولله الحمدُ والمنةُ)[2].

وأوْصَى خالدُ بنُ يحيَى بنِ بَرْمكَ ابنَه، فقال له: (يا بُنيَّ، خذْ مِن كلِّ علمٍ بحظٍّ؛ فإنَّك إن لم تفعلْ جهِلْتَ، وإنْ جهِلْتَ شيئاً مِن العلمِ عاديتَه، وعزيزٌ عليَّ أنْ تعاديَ شيئاً مِنَ العِلمِ)[3].

٣- كنْ عاليَ الهمةِ:

قال ابنُ الجوزيِّ، متحدِّثاً عن علوِّ الهمةِ:

(تأمَّلْتُ عجباً، وهو أنَّ كلَّ شيءٍ نفيسٍ خطيرٍ يطولُ طريقُه، ويكثرُ التعبُ في تحصيلِه، فإنَّ العلمَ لما كان أشرفَ الأشياءِ، لم يحصلْ إلا بالتعبِ، والسهرِ، والتكرارِ، وهجرِ اللذَّاتِ، والراحةِ، حتَّى قال بعضُ

(١) (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر) (٢/٩٢٧).

(٢) (التعالم، لبكر أبو زيد) (ص٩٤).

(٣) (جامع بيان العلم، لابن عبد البر) (١/٥٢٣).

الفقهاءِ: بقِيتُ سنينَ أشْتَهي الهريسةَ لا أقدرُ؛ لأنَّ وقتَ بيعِها وقتُ سماعِ الدرسِ... ولولا ما عانَى يوسفُ عليه السلامُ، ما قِيلَ له: (أَيُّها الصِّدِّيقُ) ولقد تأملتُ نيلَ الدُّرِّ مِنَ البحرِ، فرأيتُه بعدَ معاناةِ الشدائدِ، ومَنْ تفكَّر فيما ذكرتُه مَثلاً؛ بانَتْ له أمثالٌ)[١].

وقال أيضاً محدِّثاً ولدَه عن نشأتِه:

(وإنِّي لأذكرُ لك بعضَ أحوالي، فإنِّي أذكرُ نفسي ولي همةٌ عاليةٌ، ولي نحوٌ مِن ستِّ سنينَ، وأنا قرينُ الصبيانِ الكبارِ، فما أذكرُ أنِّي لعبتُ في طريقٍ مع صبيٍّ، ولا ضحِكتُ ضحِكاً خارجاً، حتَّى إنِّي كنتُ ولي سبعُ سنينَ أو نحوُها، أحضرُ رحبةَ الجامعِ، أطلبُ المحدِّثَ، فيتحدثُ بالسَّمرِ الطويلِ فأحفظُ، فأرجعُ إلى البيتِ، فأكتبُه، ولقد كانَ الصبيانُ يَنزِلون دِجْلةَ، ويَتفرَّجون على الجسرِ، وأنا في زمنِ الصغرِ آخذُ جزءاً، وأقعدُ حُجزةً مِن النَّاسِ، إلى جانبِ الرَّقةِ، فأتشاغلُ بالعلمِ، وكنتُ أصبحُ وليسَ لي ما آكلُ، وأُمْسِي وليسَ لي شيءٌ)[٢].

وقال أيضاً:

(تأمَّلتُ أحوالَ الناسِ في حالةِ علوِّ شأنِهم، فرأيتُ أكثرَ الخلقِ تبينُ خسارتُهم حينئذٍ؛ فمِنهم مَن بالغَ في المعاصي مِن الشَّبابِ، ومِنهم مَن فرَّط في اكتسابِ العلمِ، ومِنهم مَن أكثرَ مِن الاستمتاعِ باللذَّاتِ، فكلُّهم نادمٌ في حالةِ الكبرِ، حينَ فواتِ الاستدراكِ لذُنوبٍ سلَفتْ، أو قُوًى

---

(١) (صيد الخاطر، لابن الجوزي، بتصرف) (ص٢٧٠،٢٦٩).

(٢) (لفتة الكبد في نصيحة الولد، لابن الجوزي، بتصرف) (ص٣٣ – ٣٥).

ضعفَتْ، أو فضيلةٍ فاتَتْ، فيمْضي زمان الكبرِ في حسراتٍ؛ فإنْ كانت للشيخِ إفاقةٌ مِن ذنوبٍ قد سلفَتْ؛ قال: وا أسفا على ما جَنَيْتُ! وإن لم يكنْ له إفاقةٌ؛ صارَ متأسِّفاً على فواتِ ما كان يلتذُّ به.

فأمَّا مَن أنفقَ عصرَ الشبابِ في العلمِ، فإنَّه في زمنِ الشيخوخةِ يحمَدُ جنيَ ما غرَس، ويلتذُّ بتصنيفِ ما جمَع، ولا يَرَى ما يفقدُ مِن لذَّاتِ البدنِ شيئاً، بالإضافةِ إلى ما ينالُه مِن لذَّاتِ العلمِ، هذا معَ وجودِ لذَّاتِه في الطَّلبِ، الذي كانَ تأمَّلَ به إدراكَ المطلوبِ، ورُبَّما كانت تلك الأعمالُ أطيبَ مما نِيلَ منها؛ كما قالَ الشاعرُ:

أهتزُّ عندَ تمنِّي وصلِها طرباً ورُبَّ أُمْنيَّةٍ أحلَى مِن الظَّفَرِ) [1]

قال ابنُ عقيلٍ: (إنِّي لا يحِلُّ لي أن أُضيعَ ساعةً مِن عمري، حتَّى إذا تعطَّلَ لساني عن مذاكرةٍ ومناظرةٍ، وبصري عن مطالعةٍ، أعْملتُ فكري في حالةِ راحَتِي، وأنا مستطرحٌ، فلا أنهضُ إلا وقد خطرَ لي ما أسطرُه.

وقال أيضاً: أنا أقصرُ بغايةِ جَهْدي أوقاتَ أكْلِي، حتَّى أختارَ سفَّ الكعكِ وتحسِّيَهِ بالماءِ على الخبزِ؛ لأجلِ ما بينَهما مِن تفاوتِ المضغِ، توفراً على مطالعةٍ، أو تسطيرِ فائدةٍ لم أُدْرِكْها فيه) [2].

---

(١) (صيد الخاطر، لابن الجوزي) (ص٢٣٥،٢٣٤).

(٢) (ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب) (١/١٤٥، ١٤٦).

٤- تحلَّ بالصبرِ وقوةِ التحملِ:

قال أحمدُ بنُ سليمانَ القطيعيُّ: (أضقتُ إضـــاقةً، فمضـــيتُ إلى إبراهيمَ الحربيِّ؛ لأُبُثَّه ما أنا فيه.

فقال لي: لا يضِقْ صدرُك؛ فإنَّ اللهَ مِن وراءِ المعونةِ، وإنِّي أضقتُ مرةً حتى انتهَى أمْري في الإضاقةِ إلى أنْ عدِمَ عيالي قوتَهم! فقالتْ لي الزوجةُ: هبْ أنِّي أنا وإياك نصبرُ، فكيفَ نصنعُ بهاتيْنِ الصبيَّتينِ؟ فهات شيئاً مِن كتبِك حتَّى نبيعَه أو نرهنَه. فضننتُ بذلك، وشحَّتْ نفسي بالكتبِ، وقلتُ لها: اقْتَرِضي لهما شيئاً، وأنْظِريني بقيةَ اليومِ والليلةِ. وكان لي بيتٌ في دهليزِ داري فيه كُتُبي، فكنتُ أجلسُ فيه للنسخِ والنَّظرِ، فلمَّا كانَ في تلكَ الليلةِ إذا داقٌّ يدُقُّ البابَ، فقلتُ: مَن هذا؟ فقال: رجلٌ مِن الجيرانِ. فقلتُ: ادْخُلْ. فقال: أطفِئْ السِّراجَ حتَّى أدخلَ. فكببتُ على السراجِ شيئاً وقلتُ: ادْخُلْ. فدخَل وتركَ إلى جانبي شيئاً وانصرفَ، فكشفتُ عن السِّراجِ، ونظرتُ، فإذا منديلٌ له قيمةٌ، وفيه أنواعٌ مِن الطعامِ، وكاغدٌ فيه خمسُمائةِ درهمٍ، فدعوتُ الزوجةَ وقلتُ: أنبهي الصبيانَ؛ حتَّى يأكلوا. ولما كان مِن الغدِ قَضَيْنا ديناً كان علينا مِن تلك الدراهمِ، وكان وقتَ مجيءِ الحاجِّ مِن خراسانَ، فجلستُ على بابي مِن غدِ تلكَ الليلةِ، فإذا جمَّالٌ يقودُ جَمَليْنِ عليهما حِمْلان ورقاً، وهو يسألُ عن مترلِ الحربيِّ، فانتهَى إليَّ فقلتُ: أنا إبراهيمُ، فحطَّ الحِمْلين: وقال: هذان الحملانِ أنفَذَهما لك رجلٌ مِن خراسانَ. فقلتُ: مَن هو؟ فقال: قد

اسْتَحْلَفَني أن لا أقولَ مَن هو)[١].

قال سفيانُ الثوريُّ: (فتنةُ الحديثِ أشدُّ مِن فتنةِ الذهبِ والفضةِ)[٢] أي: حبُّه والافتتانُ به.

وقال الإمامُ البخاريُّ: (أفضلُ المسلمينَ رجلٌ أحيَا سنَّةً مِن سُننِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم قد أُمِيتتْ؛ فاصبِروا يا أصحابَ السُّننِ رحِمكم اللهُ، فإنَّكم أقلُّ الناسِ).

قال الخطيبُ عقِبَه: (قولُ البخاريِّ: إنَّ أصحابَ السُّننِ أقلُّ الناسِ. عنَى به الحفاظَ للحديثِ، العالِمين بطرقِه، المميِّزين لصحيحِه مِن سقيمِه، وقد صدَق رحِمه اللهُ في قولِه) وتابعَ الخطيبُ قولَه: (لأنَّك إذا اعْتبَرتَ لم تجدْ بلداً مِن بلدانِ الإسلامِ يخلو مِن فقيهٍ أو متفقِّهٍ، يرجِعُ أهلُ مصرِه إليه، ويعوِّلون فتاواهم عليه، وتجدُ الأمصارَ الكثيرةَ خاليةً مِن صاحبِ حديثٍ عارفٍ به، مجتهدٍ فيه؛ وما ذاك إلا لصعوبةِ علمِه، وعزَّتِه، وقلةِ مَن ينجبُ فيه مِن سامِعيه وكَتبتِه، وقد كان العلمُ في وقتِ البخاريِّ غضًّا، طريًّا، والارتسامُ به محبوباً شهيًّا، والدَّواعي إليه أكبرُ، والرغبةُ فيه أكثرُ، وقال هذا القولَ الذي حَكَيْناه عنه، فكيفَ نقولُ في هذا الزمانِ مع عدمِ الطالبِ، وقلةِ الراغبِ؟!)[٣]. وما ذا نقولُ نحنُ عن الحال في زمانِنا؟! فاللهُ المستعانُ.

---

(١) (طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى) (١/٨٧-٨٨).

(٢)(شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي) (ص١٢٠).

(٣) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب) (١/١٦٨).

قال ابنُ عباسٍ: (ذللْتُ طالباً؛ فعززْتُ مطلوباً) [١].

وقال: (وجدتُ عامَّةَ علمِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عندَ هذا الحيِّ مِن الأنصارِ، إنْ كنتُ لأقيلُ ببابِ أحدِهم، ولو شئتُ لأذِنَ لي، ولكنْ أبْتَغي بذلك طيبَ نفسه) [٢].

(وقال عبدُالرحمنِ بنُ حَرْملةَ: قد شجَّني سعيدُ بنُ المسيبِ في العلمِ مرَّتينِ. وقال الأعمشُ: الحبرُ في ثيابِ صاحبِ الحديث أحسنُ مِن الخلوقِ في ثيابِ العروسِ) [٣].

وذكر عن أبي حاتمٍ أنَّه قال: (ضاقتْ بي الحالُ أيامَ طَلَبي العلمَ، فعجَزْتُ عن شراءِ البزرِ، فكنتُ أخرجُ بالليلِ إلى الدربِ الذي أنزلُه، وأرتفقُ بسراجِ الحارسِ، وكان رُبَّما ينامُ الحارسُ، فكنتُ أنوبُ عنه) [٤].

وقال رجلٌ لآخرَ: بِمَ أدْرَكْتَ العلمَ؟

قال: (طلَبْتُه فوجدْتُه بعيدَ المرامِ، لا يُصطادُ بالسِّهامِ، ولا يُرَى في المنامِ، ولا يُورثُ عن الأعمامِ، فتوسَّلْتُ إليه بافتراشِ المدرِ، واستنادِ الحجرِ، وإدمانِ السَّهرِ، وكثرةِ النظرِ، وإعمالِ الفكرِ، ومتابعةِ السفرِ، وركوبِ الخطرِ، فوجدْتُه شيئاً لا يصلحُ إلا للغرسِ، ولا يُغرسُ إلا في

---

(١) (المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر الدينوري) (٤/٤٣٩).

(٢) (الحث على طلب العلم، للعسكري) (ص٨٣).

(٣) (المصدر السابق) (ص٦٥).

(٤) (المصدر السابق) (ص٨٠).

النفسِ، ولا يُسقَى إلا بالدَّرسِ)[١].

وقال الحافظُ محمدُ بنُ طاهرِ المقدسيُّ: (بُلْتُ الدَّمَ في طلبِ الحديثِ مرَّتينِ: مرَّةً ببغدادَ، ومرةً بمكَّةَ، وذلك أنِّي كنتُ أمْشِي حافياً في حرِّ الهواجرِ بهما، فلحِقني ذلك، وما ركِبْتُ دابةً قطُّ في طلبِ الحديثِ إلا مرةً، وكنتُ أحملُ كُتُبي على ظَهْري، إلى أن استوطَنْتُ البلادَ، وما سألتُ في حالِ طلبي أحداً، وكنتُ أعيشُ على ما يَأْتِيني مِن غيرِ سؤالٍ)[٢].

قال الحافظُ ابنُ القيِّمِ: (الصبرُ يُورِثُ صاحبَه درجةَ الإمامةِ، سمِعتُ شيخَ الإسلامِ ابنَ تيميةَ - قدَّس اللهُ روحَه - يقولُ: بالصبرِ واليقينِ تُنالُ الإمامةُ في الدِّينِ. ثم تلا قولَه تعالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة : ٢٤])[٣].

٥- احرصْ ... كلَّ الحرص، على العلمِ:

قال الحسنُ اللؤلؤيُّ: (غبَّرْتُ أربعينَ عاماً، ما قِلْتُ، ولا بِتُّ، ولا اتَّكأْتُ، إلا والكتابُ موضوعٌ على صدري)[٤].

وقال عليُّ بنُ الجهمِ: (إذا غَشِيَني النُّعاسُ في غيرِ وقتِ نومٍ - وبئسَ الشيءُ النومُ الفاضلُ عن الحاجةِ - تناوَلْتُ كتاباً مِن كتبِ الحِكَمِ، فأجدُ اهْتِزازي للفوائدِ، والأريحيةِ التي تعتريني عندَ الظَّفرِ ببعضِ الحاجةِ، والذي

---

(١)(مقامات بديع الزمان الهمذاني، بتصرف) (ص٣٠٠ - ٣٠٢).
(٢) (تاريخ دمشق، لابن عساكر) (٢٨١/٥٣).
(٣) (مدارج السالكين، لابن القيم) (١٥٤/٢).
(٤) (الحيوان، للجاحظ) (٥٢،٥٣/١).

يَغْشَى قَلبي مِن سرورِ الاستبانةِ، وعزِّ التبيينِ، أَشَدَّ إيقاظاً مِن نَهيقِ الحميرِ، وهدةِ الهدمِ) [(١)].

قال ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ: (أما عشَّاقُ العلمِ، فأعظمُ شغفاً به، وعشقاً له مِن كلِّ عاشقٍ بمعشوقِه، وكثيرٌ منهم لا يشغلُه عنه أجملُ صورةٍ مِن البشرِ.... وحدَّثني أخو شيخِنا، عبدُالرحمنِ بنُ تيميةَ عن أبيه قال: كان الجدُّ إذا دخَل الخلاءَ يقولُ لي: اقرَأْ في هذا الكتابِ، وارفَعْ صوتَك، حتَّى أسمعَ.

وأعرِفُ مَن أصابَه مرضٌ مِن صداعٍ، وحمَّى، وكانَ الكتابُ عندَ رأسِه، فإذا وجَد إفاقةً قرأَ فيه، فإذا غُلِب وضَعه، فدخَل عليه الطبيبُ يوماً وهو كذلك، فقال: إنَّ هذا لا يحِلُّ لك، فإنَّك تعينُ على نفسِك، وتكونُ سبباً لفواتِ مطلوبِك)[(٢)].

قال ابنُ عساكرَ عن سليمِ بنِ أيُّوبَ الرازيِّ: (حُدِّثْتُ عنه أنَّه كان يحاسبُ نفسَه على الأنفاسِ، لا يدعُ وقتاً يمضي عليه بغيرِ فائدةٍ، إما ينسخُ أو يدرسُ أو يقرأُ... ولقد حدَّثني عنه شيخُنا أبو الفرجِ الإسفراييني أنَّه نزَل يوماً إلى دارِه ورجَع، فقال: قد قرأْتُ جزءاً في طريقي)[(٣)].

قال أبو حاتمٍ الرازيُّ: (بقِيتُ بالبصرةِ في سنةِ (٢١٤) ثمانيةَ أشهرٍ، وكان في نفسي أنْ أُقيمَ سنةً، فانقطَعَتْ نَفَقتي، فجعَلْتُ أبيعُ ثيابَ بدَني

---

(١) (المحاسن والأضداد، للجاحظ) (ص٤).

(٢) (روضة المحبين، لابن القيم، بتصرف) (ص٧٠).

(٣) (تبيين كذب المفتري، لابن عساكر، بتصرف) (ص٢٦٣).

شيئاً بعدَ شيءٍ! حتى بقِيتُ بلا نفقةٍ! ومضيتُ أطوفُ معَ صــديقٍ لي إلى المشيخةِ، وأسمعُ منهم إلى المساءِ فانصرَفَ رَفِيقي، ورجعتُ إلى بيتٍ خالٍ، فجعَلْتُ أشربُ الماءَ مِن الجوعِ، ثم أصبحْتُ مِن الغدِ، وغدا عليَّ رَفِيقي، فجعَلْتُ أطوفُ معه في سماعِ الحديثِ على جوعٍ شديدٍ، فانصرَف عنِّي، وانصرَفْتُ جائِعاً، فلمَّا كان مِن الغدِ، غدا عليَّ، فقال: مــرَّ بنــا علــى المشايخِ. فقلْتُ: أنا ضعيفٌ لا يُمْكِنُني. قال: مــا ضــعفُك؟ قلــتُ: لا أكتُمُكَ أمْرِي، قد مضَى يومانِ ما طعِمْتُ فيهما)[1].

قال أحمدُ بنُ سلمةَ: (عُقِدَ لأبي الحسينِ مسلمِ بنِ الحجاجِ مجلــسٌ للمذاكرةِ، فذُكِرَ له حديثٌ لم يعرِفْه، فانصرفَ إلى مترِله، وأوْقَد السِّراجَ، وقال لمنْ في الدارِ: لا يدخلنَّ أحدٌ مِنكم هذا البيتَ، فقِيل له: أُهْدِيتْ لنا سلَّةٌ فيها تمرٌ. فقال: قدِّموها إليَّ. فقدَّموها، فكان يطلبُ الحديثَ، ويأخذُ تمرةً تمرةً، يمضُغُها، فأصبَحَ وقد فنِيَ التمرُ، ووجدَ الحديثَ)[2].

وقال الصدفيُّ: (لَمَّا بلَغ عبدُالله بنُ المبارك دفَع إليه أبوه خمسينَ ألفَ درهمٍ، يتَّجِرُ بها، فطلَب العلمَ، حتى أفقدَها، فلمَّا انصرَفَ، لقِيَــه أبــوه، فقال: ما جئتَ به؟ فأخرَج إليه الدَّفاترَ، فقال: هذه تِجارتي. فدخَل أبوه المترلَ، فأخرَج له أبوه ثلاثينَ ألفَ درهمٍ أُخرَى، وقال: هذه تمِّــمْ بهــا تجارتَك. فأنفَقَها)[3].

---

(١) (تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي) (٧٤/٢).

(٢) (صيانة صحيح مسلم، لابن الصلاح) (ص٦٤).

(٣ (ترتيب المدارك، للقاضي عياض) (٣٨،٣٩/٣).

وقال عليٌّ بنُ المدينيِّ: (ستةٌ كادَتْ تذهَبُ عقولُهم عندَ المذاكرةِ: يحيَى القطانُ، وعبدُالرحمنِ بنُ مهديٍّ، ووكيعٌ، وابنُ عُيَيْنَةَ، وأبو داودَ الطيالسيُّ، وعبدُالرزاقِ، مِن شدةِ شهوتِهم له. وتذاكَر وكيعٌ وعبدُالرحمنِ ليلةً في المسجدِ الحرامِ، فلم يزالا حتَّى أذَّن المؤذِّنُ أذانَ الصبحِ)(١).

قال الوزيرُ ابنُ العميدِ: (ما كنتُ أظنُّ أنَّ في الدُّنيا حلاوةً ألذَّ مِن الرئاسةِ والوزارةِ التي أنا فيها، حتى شاهدْتُ مذاكرةَ الطبرانيِّ والجعابيِّ بحضْرَتي) ثمَّ قالَ: (فوددتُ في مكاني أنَّ الوزارةَ والرئاسةَ ليتَها لم تكنْ لي، وكنتُ الطبرانيَّ، وفرِحتُ مثلَ الفرحِ الذي فرِح به الطبرانيُّ)(٢).

(كان الرضي مِن أهلِ الفضلِ، والأدبِ، والعلمِ، والذكاءِ، وحدَّةِ الخاطرِ مِن صغرِه، ذكَره أبو الفتحِ بنُ جنِّي في مجموعٍ له جمَعه، وذكَر في بعضِ مجاميعِه أنَّ هذا المجموعَ سُرِقَ منه في طريقِ فارسَ، وتأوَّه عليه كثيراً، وماتَ وهو عادمٌ له، ثمَّ إنَّ هذا المجموعَ حصَل في بعضِ وقوفِ مدينةِ أصبهانَ، ولمَّا توجَّه إليها سعيدُ بنُ الدهانِ البغداديُّ، وجَد المجموعَ المذكورَ، فنقَل منه مجلداً واحداً)(٣).

---

(١) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب) (٢/٤١٢).

(٢) (المصدر السابق) (٢/٤١٣).

(٣) (إنباه الرواة، للقفطي) (٣/١١٤).

٦- تعرَّف على مرتبتك في العلم:

(قِيلَ في مراتبِ طالبِ العلمِ:

المبتدئُ: وهو يتوهمُ بحفظِهِ لبعضِ المتونِ، وإتقانه لبعضِ المسائلِ، أنَّه غدا في عدادِ الرَّاسخينَ، أو مَن يحقُّ لهم الفتوَى، والجسارةُ على ما ليسَ مِن حقِّه.

المتوسطُ: وهو مَن فجأَتْه كثرةُ العلومِ، والكتبِ، واطلاعُه على علمِ العلماءِ ..، فأكسَبَه ذلك تواضعاً، وانكسارَ نفسٍ.

المنْتَهِي: وهو مَن إذا سألْتَه عن حجمِ علمِه، قال لك: لا أعلمُ شيئاً.

ثم اعلمْ أن استذكارَ المرءِ لكونِ علمِه قليلاً جداً؛ يحفِّزُه لمواصلةِ المسيرِ، بقدرِ ما يتيقنُ مِن هذه الحقيقةِ)[1].

قال أبو الحسنِ الماورديُّ: (وقلَّما تجدُ بالعلمِ معجباً، وبما أدرَك مفتخراً، إلا مَن كان فيه مُقِلا مقصراً؛ لأنَّه قد يجهلُ قدرَه، ويحسبُ أنَّه نالَ بالدخولِ فيه أكثرَه، فأمَّا مَن كانَ فيه متوجهاً، ومنه مستكثراً، فهو يعلمُ مِن بُعْدِ غايتِه، والعجزِ عن إدراكِ نهايتِه، ما يصدُّه عنِ العُجْبِ به.

وقد قال الشعبيُّ: العلمُ ثلاثةُ أشبارٍ: فمَنْ نالَ شِبراً منه شمَخ بأنفِه، وظنَّ أنَّه نالَه، ومَن نالَ منه الشِّبرَ الثَّاني، صغرَتْ إليه نفسُه، وعلِم أنَّه لم يَنَلْه، وأما الشِّبرُ الثالثُ، فهيهاتَ، لا ينالُه أحدٌ أبداً)[2].

---

(١) (أدب الدنيا والدين، للماوردي) (ص٥٩،٥٨).

(٢) (أدب الدنيا والدين، للماوردي) (ص٨١).

٧- عليك بالمداومةِ والاستمرارِ:

قال عبدُالرحمنِ بنُ مهديٍّ: (إنَّما مثلُ صاحبِ الحديثِ بمترلةِ السِّمسارِ، إذا غابَ عن السُّوقِ خمسةَ أيامٍ تغيَّرَ بصرُه)[١].

وعندَما سُئِل الإمامُ أحمدُ: إلى متَى يكتبُ الرجلُ الحديثَ؟ قال: حتَّى يموتَ[٢].

ورأَى رجلٌ معَ الإمامِ أحمدَ محْبَرَةً، فقال له: يا أبا عبدِالله، أنتَ قدْ بلَغْتَ هذا المبلغَ وأنتَ إمامُ المسْلِمِين. فقال: معِي المحبرةُ إلى المقبرةِ[٣].

(وكَثُرَ مَن يطلبُ الحديثَ في زمنِ الأعمشِ، فقيل له: يا أبا محمدٍ، ما ترَى ما أكثرَهم! قال: لا تنظُروا إلى كثرَتِهم، ثلثُهم يموتُون، وثلثُهم يلحقُون بالأعمالِ - يَعْني الوظائفَ- وثلثُهم مِن كلِّ مائةٍ يفلِحُ واحدٌ)[٤].

ذكَر الذهبيُّ في ترجمةِ الصَّفِيِّ الهنديِّ أنَّه روَى له حديثين قال: (ليسَا هما عندِي، قرأتُهما عليه، ونَفَسُه يحشرجُ في الصدرِ، فتُوُفِّيَ يومئذٍ، عفَا اللهُ عنَّا وعنه آمين)[٥].

وذكَر الدلجيُّ عن ابنِ مالكٍ شيخِ النُّحاةِ في عصرِه، أنَّه كان كثيرَ الإشغالِ (التدريس) والاشتغالِ، حتَّى أنَّه حفِظ في اليومِ الذي ماتَ فيه،

---

(١) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب) (٢/٤١٩).

(٢) (شرف أصحاب الحديث، للخطيب) (ص٦٨).

(٣) (الآداب الشرعية، لابن مفلح) (٢/٥٨).

(٤) (الجامع، للخطيب) (رقم٩٦).

(٥) (معجم شيوخ الذهبي) (ص٥١٧).

خمسةَ شواهدَ[1].

وقرأَ أبو الفرجِ ابنُ الجوزيِّ في آخرِ عمرِه، وهو في (الثمــانين)، القراءاتِ العشرَ، هو وابنُه يوسفُ، على ابنِ الباقلانيِّ.
قال الذهبيُّ مُعلِّقاً: (فانظرْ إلى هذه الهمَّةِ العاليةِ!)[2].

٨- ارحلْ في طلبِ العلمِ:

(قال الشعبيُّ: رحَل مسروقٌ في آيةٍ إلى البصرةِ، فسألَ عن الــذي يفسِّرُها. فأُخْبِرَ أنَّه بالشامِ، فتجَّهزَ إلى الشامِ، حتَّى سألَ عنها.

وقال: ما رأيتُ أحداً أطلبَ للعلمِ في الآفاقِ مِن مسروق.
وقال سعيدُ بنُ المسيبِ: إنِّي كنتُ لأسيرُ الأيامَ والليالِيَ في طلــبِ الحديثِ الواحدِ.

وقال أربدةُ التميميُّ: ما سمِعتُ بأرضٍ فيها علمٌ إلا أتيتُها)[3].
قال أبو الدَّرْداءِ: (لو أعْيَتْنِي آيةٌ مِن كتابِ اللهِ، فلمْ أجِــد أحــداً يفتحُها عليَّ إلا رجلٌ ببركِ الغمادِ لرحَلْتُ إليه)[4].

وقال أحمدُ بنُ حنبلٍ: (لم يكنْ في زمانِ ابنِ المباركِ أطلبُ للعلــمِ منه، رحَل إلى اليمنِ، وإلى مصرَ، وإلى الشامِ، والبصرةِ، والكوفةِ، وكان

---

(١)(الفلاكة والمفلوكون، لأحمد بن علي الدلجي) (ص٧١).
(٢) (سير أعلام النبلاء) (٢١/٣٧٧).
(٣) (الحث على طلب العلم، للعسكري) (ص٦١ - ٦٢).
(٤) (فضائل القرآن، للقاسم بن سلام) (ص١٠١).

مِن رواةِ العلمِ وأهلِ ذلك، كتَب عن الصغارِ والكبارِ)[1].

٩- لا تستنكفْ عن الاستفادةِ ممنْ دونَك

قال ابنُ جماعةَ: (لا يستنكفُ أن يستفيدَ ما لا يعلمُه ممن هو دونَه مَنْصِبًا أو نَسَباً أو سِنًّا، بل يكونُ حريصاً على الفائدةِ حيثُ كانت، والحكمةُ ضالةُ المؤمنِ يلتقطُها حيثُ وجَدَها.... وكان جماعةٌ مِن السَّلفِ يستفيدون مِن طلبتِهم ما ليسَ عندَهم، قال الحميديُّ، وهو تلميذُ الشافعيِّ: صحِبْتُ الشافعيَّ مِن مكَّةَ إلى مصرَ فكنتُ أستفيدُ منه المسائلَ، وكانَ يستفيدُ منِّي الحديثَ.

وقال أحمدُ بنُ حنبلٍ: قال لنا الشافعيُّ: أنتم أعلمُ بالحديثِ منِّي، فإذا صحَّ عندَكم الحديثُ فقُولوا لنا حتَّى آخذَ به)[2].

---

(١) (الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي) (ص١٩٦).

(٢) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة) (ص٢٨،٢٩).

خامساً: إضاءات حول الكتب

١- أهمِّيَّةُ الكِتابِ:

قال: أبو الطيِّبِ المتنبِّي:

أعزُّ مكانٍ في الدُّنى سَرْجُ سابحٍ وخيرُ جليسٍ في الزَّمانِ كتابُ

يقولُ: (إنَّ سرجَ الفَرَسِ، هو أعزُّ مكانٍ؛ لأنَّه يُمتطَى لطلبِ المعالي، أو محارَبةِ الأعداءِ؛ لدفْعِ شرِّهِم؛ أو للهربِ من الضَّيْمِ؛ واحتمالِ الذُّلِّ، وأنَّ الكتابَ هو خيرُ جليسٍ؛ لأنَّهُ مأمونُ الجانبِ؛ فلا أذىً ولا شَرٌّ؛ ولا يَحتاجُ في مجالَستِهِ إلى مَؤُونةٍ؛ فضلاً أنه يُفادُ من آدابِهِ وكلِّ ما يحتويه)[1].

الكتابُ: (هو النَّديمُ الكريمُ، والخِدْنُ الأمينُ، البريءُ مِنَ الذُّنوبِ، السَّليمُ من العيوبِ، الَّذي إنْ أدْنَيْتَه لمْ يُباعدْك، وإنْ أقصَيْتَه لم يُعاوِدْك، وإنْ واصلتَه حَمِدْتَه، وإنْ هاجرْتَه أمِنْتَه، وإنْ اسْتنطَقْتَه أسْمَعَك، وإنِ اسْتَكْفيتَه أقْنَعَك، وإنِ اسْتَكْفَفْتَه كَفَّ، وإنِ اسْتَثْقَلْتَه خَفَّ، وإنْ دَعَوْتَه لبَّاك، وإنِ اسْتَعفَيْتَه أعْفاكَ، لا يَعصِي لكَ أمْراً، ولا يُحَمِّلُكَ إصْراً، عِرْضُك معَهُ وافِرٌ، وهو لِسرِّك غيرُ ناشِرٍ، أنيقُ المنظرِ، طيِّبُ المَخْبَرِ، جميلُ المشَاهِدِ، كثيرُ المَحامِدِ، يملأُ العيونَ قُرَّةً، والنفوسَ مَسَرَّةً، يُضحِكُ الحزينَ اللَّهِفَ، ويُلْهِي الغَضْبانَ الأَسِفَ، يَجتلِبُ السُّرورَ، ويَشرحُ الصُّدورَ، يَطرُدُ الهمومَ والأحزانَ، ويَنفِي بواعِثَ الأَشْجانِ، مُجاوَرَتُهُ أحسنُ مجاوَرَةٍ،

---

(١) (شرح ديوان المتنبي، للبرقوقي) (١/٣١٩).

ومُسَامَرَتُه أحلَى مسامَرَةٍ، ومُجالَسَتُه أنفعُ مجالَسَةٍ، ومُؤانَستُه أمتعُ مُؤانَسَةٍ، فيه مَدْعاةٌ إلى الطربِ، ومَسْلاةٌ مِن الوَصَبِ، وتَعِلَّةٌ لِذِي الغَرامِ، وتَلْهِيَــةٌ لقَلْبِ المُسْتَهَامِ، وأُنْسٌ للمستوحِشِ، ورِيٌّ للمتعطِّشِ، وعِمارَةٌ للمجالِسِ، وحِلْيَةٌ للمُؤانسِ، تُلقِي القلوبُ محبَّتَها عليهِ، وتَميلُ النفوسُ بكليَّتِها إليــهِ، ليسَ بينَهُ وبينَ حبَّاتِ القلوبِ حِجابٌ، ولا يُغلَقُ بينَهُ وبينَ سُــوَيْدَاواتِها بابٌ)[١].

قالَ الخطيبَ البغداديُّ: (ومعَ ما فِي الكتبِ منَ المنافعِ العميمــةِ، والمفاخرِ العظيمةِ، فهيَ أكرمُ مالٍ، وأَنْفَسُ جمالٍ، والكتابُ آمَنُ جليسٍ، وأَسَرُّ أنيسٍ، وأَسْلَمُ نديمٍ، وأفصحُ كليمٍ)[٢].

وقدْ أوردَ الخطيبُ بإسنادِهِ عنْ سعيدَ بنِ جبيرٍ عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما في تفسيرِ قولِ اللهِ تعــالى: ﴿وَكَــانَ تَحْتَــهُ كَــنزٌ لَّهُمَــا﴾ [الكهف:٨٢]، قال: (ما كانَ ذلكَ ذهباً ولا فضةً)، قال: (صحفاً علماً)، وعلَّق الحسنُ بنُ صالحٍ على ذلكَ، فقالَ: (وأيُّ كنزٍ أفضلُ منَ العلمِ؟)[٣].

(قالتِ الحكماءُ: الكتابُ نِعْمَ الجليسُ والذُّخْرُ، إنْ شــئتَ أَلْهَتْــك بوادرُه، وأَضحَكَتْك نوادرُه، وإنْ شئتَ أَشْجَتْكَ مَواعِظُــه، وإنْ شــئتَ تعجَّبتَ منْ غرائبِ فوائدِه، وهو يجمعُ لكَ الأوَّلَ والآخِــرَ، والنــاقصَ والوافرَ، والغائبَ والحاضرَ، والشَّكلَ وخِلافَه، والجنسَ وضِدَّه، وهو ميِّتٌ

---

(١) (مطالع البدور، للغزولي) (٢/١٧٥،١٧٦).

(٢) (تقييد العلم، للخطيب، بتصرف) (ص٢٩٩).

(٣) (المصدر السابق بتصرف) (ص٢٩٣).

يَنْطِقُ عَنِ الموْتَى، ويُتَرْجِمُ عنِ الأحياءِ، وهو مُؤْنِسٌ يَنْشَطُ بنشاطِك، ويَنامُ بنومِك، ولا يَنطقُ إلاَّ بما تَهْوَى)[١].

الكتابُ: (معَ خِفَّةِ نَقْلِه، وصِغَرِ حَجمِه؛ صامتٌ ما أسْكَتَّه، وبليغٌ ما استَنْطَقْتَه، ومَنْ لكَ بمسامرٍ لا يَبْتديك في حالِ شُغْلِك، ويدعُوك في أوقاتِ نشاطِك، ولا يُحْوِجُك إلى التجمُّلِ له، والتذَمُّمِ منهُ، ومَنْ لكَ بزائرٍ إنْ شئتَ جعلَ زيارتَهُ غِبًّا، ووُرُودُه خَمْساً، وإنَ شئت لَزِمَك لُزومَ ظِلِّكَ، وكانَ منكَ مكانَ بعضِكَ)[٢].

وقالَ الجاحظُ: (وِراثَةُ الكتبِ الشَّريفةِ، والأبوابِ الرَّفيعةِ، مَنْبَهَةٌ للمُورِّثِ، وكنزٌ عندَ الوارثِ، إلا أنَّه كنزٌ لا تجِبُ فيهِ الزكاةُ، ولا حَقُّ السُّلطانِ، وإذا كانتِ الكنوزُ جامدةً، يُنْقِصُها ما أُخِذَ منها، كانَ ذلكَ الكنزُ مانِعاً يَزيدُه ما أُخِذَ منه؛ ولا يَزالُ بها المُورِّثُ مذكوراً في الحكماء، ومُنوَّهاً باسمِه في الأسماءِ، وإماماً متبوعاً، وعَلَماً منصُوباً، فلا يزالُ الوارثُ محفوظاً، ومِنْ أجلِه محبوباً ممنوعاً، ولا تزالُ تلكُ المحبةُ ناميةً، ما كانتْ تلكَ الفوائدُ قائمةً؛ ولنْ تزالَ فوائدُها موجودةً، ما كانتِ الدَّارُ دارَ حاجةٍ، ولنْ يزالَ مِن تعظيمِها في القلوبِ أثرٌ، ما كانَ مِنْ فوائدِها على الناسِ أثرٌ)[٣].

وقالَ الشيخُ حاتمٌ العَوْنِيُّ: (أمَّا طالبُ العلمِ الَّذي يقولُ: يُغْنِيني

---

(١) (الحيوان، للجاحظ، بتصرف) (١/٣٨ - ٤٠).

(٢) (المصدر السابق) (١/٥٠).

(٣) (الحيوان، للجاحظ) (١/١٠٠).

كتابٌ عن كتاب، فليسَ بطالب علم! ولا يريدُ أن يكونَ طالبَ علـــمٍ، فإنَّهُ لا يُغني كتابٌ عن كتابٍ قطُّ، بلْ: لا تُغني طبعةٌ عن طبعةٍ أخرَى له!

وطالبُ العلمِ الَّذي يقولُ: لا أشتريْ كتاباً، حـــتَّ أقـــرأَ وأدرسَ الكتابَ الَّذي عندي، فلا يُفلِحُ في العلمِ أبداً! فإنَّ شراءَ الكتبِ وحـــدَه عبادةٌ يُؤْجَرُ عليها فاعِلُها، لوُجوهٍ، منها: أنَّها ممَّا لا ينقطعُ العملُ بهِ بعـــدَ الموتِ، حيثُ تبقَى فيُنْتَفَعُ بها مِنْ بعدِهِ.

ثمَّ إنَّ تكوينَ المكتبةِ العامرةِ يُشبِهُ طلبَ العلمِ من جهتينِ: الأولَى: كما أنَّ طلبَ العلمِ لا يكونُ جملةً في أيامٍ وليالٍ، كذلكَ تكوينُ المكتبةِ، لا يمكنُ أنْ يَتِمَّ إلاَّ من خلالِ مُتابعةٍ للجديـــدِ مـــن الكتـــبِ في عـــالمِ المطبوعاتِ ؛ حيثُ إنَّ الكتبَ كثيرةٌ جدًّا، وهناكَ كتبٌ نادرةٌ، وكتـــبٌ سُرعانَ ما تَنْفَدُ من الأسواقِ، فمَنْ لمْ يُبادِرْ بشرائِها فاتَتْه.

الثانيةُ: أنَّ طلبَ العلمِ يُلجئُ طالبَ العلمِ إلى دراسةِ مسائلَ مـــا كانَ يظُنُّ قبلَ ذلكَ أنَّه سيحتاجُ دراستَها، وكذلكَ تكوينُ المكتبةِ؛ فـــإنَّ شراءَكَ الكتابَ ومعرفتَك لما فيهِ يدلُّك على كتابٍ آخرَ، رُبَّما لمْ تســـمَعْ به، ورُبَّما سمِعتَ به، و لم تظنَّ أنَّكَ محتاجٌ إليهِ؛ فالحاجةُ للكتبِ تنمو مـــعَ نموِّ طلبِك للعلمِ)[١].

---

(١) (نصائح منهجية، لحاتم العوني، بتصرف) (ص٧٤،٧٣).

٢- عِشْقٌ عجيبٌ للكتبِ:

(بِيْعَتْ كتبُ ابنِ الجَوَالِيقِيِّ في بغدادَ، فحَضَرَها الحافظُ أبو العلاءِ الهَمَدانيُّ، فنادَوْا على قطعةٍ منها: ستينَ ديناراً، فاشتراها الحافظُ أبو العلاءِ بستينَ ديناراً، والإنظارُ من يومِ الخميسِ إلى يومِ الخميسِ. فخرجَ الحافظُ، واستقبلَ طريقَ همدانَ، فوصلَ، فنادَى على دارٍ له، فبلغَتْ ستينَ ديناراً. فقالَ: بيعُوا. قالُوا: تبلغُ أكثرَ مِن ذلكَ. قالَ: بيعُوا. فباعُوا الدارَ بستينَ ديناراً فقبضَها، ثمَّ رجعَ إلى بغدادَ. فدخلَها يومَ الخميسِ، فوفَّى ثمنَ الكتبِ. و لمْ يشعُرْ أحدٌ بحالِه إلاَّ بعدَ مدَّةٍ)[١].

(وكانَ لأبي الحسنِ الفَالِيِّ، الأديبِ اللغويِّ، نسخةٌ في غايةِ الجودةِ من كتابِ (الجمهرةِ) لابنِ دُريدٍ، دعَتْه الحاجةُ إلى بيعِها، فاشتَراها الشريفُ المرتضَى بستينَ ديناراً، فلمَّا تصفَّحَها، وجدَ بها أبياتاً بخطِّ بائعِها:

أنِسْتُ بها عشرينَ حولاً وبِعتُها ... لقدْ طالَ وَجْدِي بعدَها وحنِيني
وما كانَ ظنِّي أنَّني سأبيعُها ... ولو خلَّدتْني في السجونِ دُيُوني
ولكنْ لضعفٍ وافتقارٍ وصِبْيَةٍ ... صغارٍ عليهمْ تستهلُّ شؤُوني
فقلتُ و لمْ أملكْ سوابقَ عَبْرَةٍ ... مقالةَ مكويِّ الفؤادِ حزينِ
وقد تُخْرِجُ الحاجاتُ يا أمَّ مالكٍ ... كرائمَ مِنْ ربٍّ بِهِنَّ ضَنِينِ

فردَّ الشريفُ الكتابَ عليه، ووهَبه المالَ)[٢].

---

(١) (ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب) (٣٢٨/١).

(٢) (وفيات الأعيان، لابن خلكان، بتصرف) (٣١٦/٣).

وهذا (المستنصرُ باللهِ الأُمَويُّ، صاحبُ الأندلسِ، كانَ محبًّا للعلمِ والعلماءِ، جمعَ مِن الكتبِ ما لا يُحدُّ ولا يُوصفُ كثرةً ونفاسةً، معَ العلمِ والنباهةِ.

وكانَ يَسْتَجْلِبُ المصنَّفاتِ من الأقاليمِ والنَّواحي، باذِلاً فيها ما أمكنَ مِن الأموالِ، حتَّى ضاقَتْ عنْها خزائِنُه، وكانَ ذا غرامٍ بها، قدْ آثَرَ ذلكَ على لَذَّاتِ الملوكِ)[١].

قالَ ابنُ الأبَّارِ: (وقَلَّ ما نجِدُ لهُ كتاباً من خِزانَتِه، إلا ولَه فيه قراءةٌ، أو نظرٌ في أيِّ فنٍّ كانَ، ويكتُبُ فيه نسبَ المؤلِّفِ، ومولدَه، ووفاتَه، ويأتي مِن ذلكَ بغرائبَ لا تكادُ توجَدُ إلاَّ عندَه؛ لعنايتِهِ بهذا الشَّأنِ)[٢].

و(كانَ أبو محمدٍ، عبدُاللهِ بنُ أحمدَ بنِ الخشابِ النحويُّ، لهُ كتبٌ كثيرةٌ إلى الغايةِ ما لا يَدخلُ تحتَ الحصرِ، ومن خطوطِ الفضلاءِ، وأجزاءِ الحديثِ شيئاً كثيراً.

وقدْ ذكرَ ابنُ النجَّارِ، أنَّه لَمْ يمُتْ أحدٌ من أهلِ العلمِ، وأصحابِ الحديثِ إلا وكانَ يشتري كتبَه كلَّها، فحصلتْ أصولُ المشايخِ عندَه.
وكانَ لا يَخْلو كُمُّه من كتبِ العلمِ، وكانَ يُدِيمُ القراءةَ من غيرِ فُتُورٍ)[٣].

(١) (تاريخ الإسلام، للذهبي، بتصرف) (٣٥٨/٢٦ – ٣٥٩).

(٢) (مرآة الزمان، لسبط ابن الجوزي) (ص٢٣٢).

(٣) (ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب) (٣١٧/١، ٣٢٠،٣١٩).

و(فارقَ أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ عبدِالرَّحمنِ الخزرجيِّ الدُّنيا، ولَمْ تكنْ همتُه مصروفةً، إلا إلى العلمِ وأسبابهِ، اقْتَنى مِن الكتبِ جملةً وافرةً، سوَى ما نَسَخَ بخطِّه الرَّائقِ، وامْتُحِنَ فيها مرَّاتٍ بضروبٍ منَ الجوائحِ، كالغرقِ، والنَّهبِ، بغَرْناطةَ، فقدْ كانَ استَصْحَبَ إليها من مَرَّاكُشَ خمسةَ أحمالٍ، ولَمَّا فصلَ عنها تركَها معَ ما صارَ له منها مدَّةَ مُقامِه بها، فأتَى عليهِ النَّهبُ في الكائِنَةِ على أهلِ غَرناطةَ، وفرَّ معظَمُ الناسِ عن منازِلِهم، فكانَ ممَّن فرَّ عن مترلِه عيالُ أبي العبَّاسِ هذا، وبعضُ ولدِه الذين تركَهم بها حينَ توجَّه إلى مَرَّاكُشَ، فنُهِبَ ما كانَ بدارِه من كتبٍ وغيرِها)[1].

قالَ الحضرميُّ: (أقمتُ مرةً بقرطبةَ، ولازمتُ سوقَ كتبِها مدةً، أترقبُ فيها وقوعَ كتابٍ كانَ لي بطلبِهِ اعتناءٌ، إلى أن وقعَ وهو بخطٍّ جيِّدٍ، وتسفيرٍ [تجليدٍ] مليحٍ، ففَرِحتُ بهِ أشدَّ الفرحِ، فجعلتُ أزيدُ في ثمنِهِ، فيرجعُ إليَّ المنادي بالزِّيادةِ عليَّ، إلى أن بلغَ فوقَ حدِّهِ، فقلتُ له: يا هذا، أرِني مَنْ يَزيدُ في هذا الكتابِ، حتَّى بلغَهُ إلى ما لا يُساوِي. قال: فأراني شخصاً عليهِ لباسُ رياسةٍ، فدنَوْتُ مِنه، وقلتُ لهُ: أعزَّ اللهُ سيِّدَنا الفقيهَ، إنْ كانَ لكَ غرضٌ في هذا الكتابِ تركتُهُ لكَ، فقدْ بلغَتْ بهِ الزيادةُ بينَنا فوقَ حدِّهِ.

قالَ: فقالَ لي: لستُ بفقيهٍ، ولا أدري ما فيهِ، ولكنِّي أقمتُ خزانةَ كتبٍ، واحتفلتُ فيها؛ لأتجمَّلَ بها بينَ أعيانِ البلدِ، وبقِيَ فيها موضعٌ يَسَعُ هذا الكتابَ، فلمَّا رأيتُه حَسَنَ الخطِّ جيِّدَ التَّجليدِ استحسنْتُه،

(١) (الذيل والتكملة، للمراكشي، بتصرف) (١/٢٢٩).

ولَمْ أبالِ بما أزيدُ فيهِ، والحمدُ للهِ على ما أنعمَ بهِ منَ الرِّزقِ، فهُو كثيرٌ)[١].

علَّق الشيخُ عبدُالكريمِ الخُضَير بقولِهِ:

(إذا وصلَ جمعُ الكتبِ والعنايةُ بها إلى هذا الحدِّ، صارتْ ممَّا يُلْهِي ويُشْغِلُ، فيَدْخُلُ دُخولاً أوَّليّاً في قولِهِ تعالى ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[التكاثر:١] لأنّهُ مجرَّدُ تكاثُرٍ)[٢].

وقالَ الحافظُ زكيُّ الدينِ عبدُالعظيمِ: (كانَ السِّلَفيُّ مُغْرىً بجمعِ الكتبِ، والاستكثارِ منها، وما كانَ يصلُ إليهِ من المالِ يُخرِجُه في شرائِها. وكانَ عندَه خزائنُ كتبٍ، ولا يتفرَّغُ للنَّظرِ فيها، فلمَّا ماتَ وجدُوا معظمَ الكُتُبِ في الخزائنِ قدْ عَفِنَتْ، والتصقَ بعضُها في بعضٍ؛ لنداوَةِ الإسكندريةِ، وكانُوا يستخلصونَها بالفأسِ فتلِفَ أكثرُها)[٣].

قالَ عبدُاللهِ بنُ الإمامِ أحمدَ: (نزَلْنا بمكةَ داراً، وكانَ فيها شيخٌ يُكنىَ بأبي بكرِ بنِ سماعةَ - وكانَ مِن أهلِ مكةَ - قالَ: نزلَ علينا أبو عبدِالله أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حنبلٍ في هذهِ الدارِ، وأنا غلامٌ، فقالَتْ لي أُمِّي: الزَمْ هذا الرجلَ فاخْدُمْهُ؛ فإنَّهُ رجلٌ صالحٌ. فكنتُ أخدمُه، وكانَ يخرُجُ يطلبُ الحديثَ، فسُرِقَ متاعُه، وقِماشُه، فجاءَ يوماً، فقالتْ لهُ أُمِّي: دخلَ عليكَ السُّرَّاقُ، فسرقُوا قِمَاشَكَ. فقالَ: ما فَعَلَتِ الألواحُ؟ فقالَتْ له أُمِّي:

---

(١) (نفح الطيب، للمقري) (١/٤٦٣).

(٢) (محاضرة كيف يبني طالب العلم مكتبته).

(٣) (تاريخ الإسلام) (٤٠/٢٠٤ - ٢٠٥).

في الطَّاقِ. وما سألَ عن شيءٍ غيرِها)[١].

قالَ ابنُ الجهمِ: (إذا استحسنْتُ الكتابَ، واستجَدْتُه، ورجوتُ منهُ الفائدةَ، ورأيتُ ذلكَ فيهِ، فلو تراني وأنا ساعةً بعدَ ساعةٍ، أنظرُ كمْ بقِيَ مِن ورقِهِ؛ مخافةَ استنفادِهِ، وانقطاعِ المادَّةِ من قِبَلِه، وإن كانَ المصحفُ عظيمَ الحجمِ كثيرَ الورقِ، كثيرَ العددِ، فقدْ تمَّ عيشِي، وكملَ سُرُورِي.
وذكرَ العتبيُّ كتاباً لبعضِ القدماءِ فقالَ: لولا طولُه وكثرةُ ورقِه لَنَسَخْتُه.
فقالَ ابنُ الجهمِ: لكنِّ ما رغَّبني فيهِ إلاَّ الَّذي زهَّدَك فيهِ؛ وما قرأتُ قطُّ كتاباً كبيراً، فأخْلاني مِن فائدةٍ، وما أُحْصِي كمْ قرأتُ مِن صغارِ الكتبِ، فخرجتُ منها كما دخلتُ)[٢].

قالَ المقَّريُّ في وصفِ قرطبةَ:

(وهي أكثرُ بلادِ الأندلسِ، كتباً وأشدُّ الناسِ اعتناءً بخزائنِ الكتبِ، صارَ ذلكَ عندهُم مِن آلاتِ التعيُّنِ، والرئاسةِ، حتَّى إنَّ الرَّئيسَ منهم الَّذي لا تكونُ عندَهُ معرفةٌ، يحتفِلُ في أن تكونَ في بيتِهِ خِزانةُ كتبٍ، وينتخبُ فيها ليسَ إلا لأنْ يُقالَ: فلانٌ عندَهُ خِزانةُ كتبٍ، والكتابُ الفُلانيُّ ليسَ هو عندَ أحدٍ غيرُه، والكتابُ الذي هو بخطِّ فلانٍ، قدْ حصَّلَه وظَفرَ بهِ)[٣].

---

(١) (حلية الأولياء، لأبي نعيم) (١٧٩/٩).

(٢) (المحاسن والمساوئ، لإبراهيم البيهقي) (١٣/١).

(٣) (نفح الطيب، للمقري) (٤٦٢/١).

وعن محمدِ بنِ سليمانَ الجوهريِّ قالَ: (كنَّا نصحبُ الجاحظَ على سائرِ أحوالِهِ، مِنْ جدٍّ، وَهَزلٍ، قالَ: فخرجْنَا يوماً لترهةٍ، فبيْنا نحنُ على باب جامعِ البصرةِ، ننتظرُ شيئاً أردناهُ، إذْ عارَضَتْنا امرأةٌ، معَهَا أوراقٌ مقطَّعةٌ، فعرَضَتْ ذلكَ عليْنا، فلمْ نجِدْ فيها طائلاً، فتركناها وانصرَفْنا، وتخلَّف معها الجاحظُ، ونحنُ ننتظرُه، فأطالَ، ثمَّ رأيناهُ قد وَزَنَ لها شيئاً، وأخذَ الأوراقَ؛ وقالَ: انتظروني. ومضَى بها إلى مترلِهِ، فلمَّا عادَ أخذْنَا نهزأُ به، ونقولُ: فُزْتَ بقطعةٍ منَ العلمِ وافرةٍ. وضَحِكْنا، فقالَ: أنتم حَمْقَى، واللهِ إنَّ فيها ما لا يوجَدُ إلاَّ فيها، ولكنَّكم جُهَّالٌ لا تعرِفُونَ النَّفيسَ مِن الخسيسِ)[1].

و(كانَ - أيْ أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عبدِالرحمنِ القَصْريُّ- فقيهاً، صالحاً، ورعاً، سريعَ الدمعةِ، لهُ عنايةٌ بالعلمِ ، والرِّواياتِ، وتصحيحِ الكتبِ، وجمعِها، وكانَ يقولَ: لي أربعونَ سنةً ما جَفَّ لي قلمٌ - يعني من كثرةِ ما يَنسخُ بالليلِ والنهارِ- وكانَ رُبَّما باعَ بعضَ ثيابِه، واشترَى بثمنِه كتاباً، أو رُقُوقاً، لنسخِ الكتبِ!

قالَ أبو بكرٍ المالكيُّ: ووصلَ إلى مدينةِ سوسةَ برَسْمِ زيارةِ يحيى بنِ عمرَ، فوجَده أَلَّفَ كتاباً، فلمْ يجِدْ ما يشتري بهِ رقًّا يكتبُه فيهِ، فباعَ قميصَه الذي كانَ عليه! واشترَى بثمنِهِ رُقُوقاً، وكتبَ الكتابَ وقابلَه، وأتَى بهِ معه إلى القيروانِ)[2].

---

(١) (تقييد العلم، للخطيب البغدادي) (ص١٣٨).

(٢) (صفحات من صبر العلماء، لأبي غدة) (ص١٩٣،١٩٤).

قال ياقوتُ الحمويُّ عن الحسنِ بنِ حَمْدُونَ: (كانَ مـــنَ المحـــبينَ للكتبِ، واقتنائِها، والمبالغينَ في تحصيلِها، وشرائِها، وحصلَ لهُ من أصولها المُتْقنَةِ، وأمَّهاتِها المعينةِ، ما لم يحصُلْ لأحدٍ، وكانَ مع اغتباطِه بالكتـــبِ ومنافستِه، ومناقشتِه فيها، جواداً بإعارتِها، ولقدْ قالَ لي يوماً، وقدْ عَجبْتُ من مسارَعَتِهِ إلى إعارتِها للطلبةِ: ما بَخِلْتُ بإعارةِ كتاب قطُّ، ولا أخذتُ عليهِ رهناً، ولا أعلمُ أنَّه مع ذلكَ فَقَدَ كتاباً في عاريةٍ قطُّ، فقلتُ: الأعمالُ بالنياتِ، وخُلُوصُ نيَّتِكَ في إعارتِها للهِ، حفظَها عليكَ)[1].

قالَ الشيخُ بكريٌّ الكاتبُ في ترجمتِهِ للشيخِ أحمدَ بنِ قاسمٍ الشهيرِ بالحجَّارِ: (وبلغتْ قيمةُ مكتبتِه بعدَ موتِهِ، أربعينَ ألفاً، معَ أنَّها بيعَتْ بغيرِ أثمانها! وكانَ رحمهُ اللهُ يحبُّ اقتناءَ الكتبِ، حتَّى سمِعنا أنَّـــهُ رأى كتابـــاً يُبَاعُ، ولم يكنْ معَهُ دَراهِمَ، وكانَ عليهِ ثيابٌ، فنَـــزَعَ بعضَـــها وباعَـــه واشترَى الكتابَ في الحالِ)[2].

قالَ أبو هفانَ: (لمْ أرَ قطُّ ولا سمِعتُ مَنْ أحبَّ الكتبَ والعلـــومَ أكثرَ مِنْ ثلاثةٍ: الجاحظِ، والفتحِ بنِ خاقانَ، وإسماعيـــلَ بـــنِ إســـحاقَ القاضي، فأمَّا الجاحظُ فإنَّه كانَ إذا وقعَ في يدِه كتابٌ قرأَهُ من أوَّلِـــه إلى آخرِه، أيُّ كتابٍ كانَ، حتَّى إنَّه كانَ يَكْتَرِي دكاكينَ الورَّاقينَ، ويبيـــتُ فيها للنَّظرِ.

وأمَّا إسماعيلُ بنُ إسحاقَ القاضي، فإنِّي ما دخلتُ عليهِ قـــطُّ إلاَّ

(١) (معجم الأدباء، لياقوت الحموي، بتصرف) (٣/١٠١٣).
(٢) (صفحات من صبر العلماء، لأبي غدة) (ص٢٧٨).

رأيتُهُ وفي يدِهِ كتابٌ ينظرُ فيهِ، أو يُقَلِّبُ الكتُبَ؛ لطلبِ كتابٍ ينظرُ فيهِ، أو ينفضُ الكتبَ)[١].

في ترجمةِ العلامةِ النَّحويِّ، أحمدَ بنِ يحيى، المعروفِ بثعلبٍ، أنَّ (سببَ وفاتِهِ؛ أنهُ خرجَ من الجامعِ يومَ الجُمُعةِ بعدَ العصرِ، وكانَ قدْ لحقَه صَمَمٌ لا يَسْمَعُ إلاَّ بعدَ تعبٍ، وكانَ في يدِهِ كتابٌ ينظُرُ فيهِ في الطريقِ، فصدمتْه فرسٌ، فألقتْهُ في هُوَّةٍ، فأُخرِجَ منها وهو كالمختلِطِ، فحُمِلَ إلى مترلِهِ على تلكَ الحالِ، وهو يتأوَّهُ مِن رأسِهِ، فماتَ ثانيَ يومٍ)[٢].

قالَ الشيخُ محمد جمال الدينِ القاسميُّ:

(صادفَ ليلةَ أُهدِيَ إليَّ كتابٌ وكنتُ في صداعٍ، وقدْ عقدَ آلي حَوْلي الاجتماعَ، وأنا أُقَاسي مِنَ الآلامِ، ما يمنعُني مِن الكلامِ، فلمَّا ناوَلَنيه شقيقي بعدَ العِشاءِ رَأيْتُني وقدْ سرَى إليَّ نسيمُ النشاطِ والشفاءِ، فغالبتُ نفسي، ونبَّهتُ لمطالعتِهِ قلبي وحسِّي، وقلتُ: لأَتأسَّيَنَّ بشيخِ الإسلامِ الأنصاريِّ؛ فقدْ كانَ يستشفي بمطالعةِ العلمِ ومذاكرةِ أُولي الفطنةِ والفهمِ، وبقيتُ أُسامِرُه معظمَ اللَّيلِ، وهو يَرِقُّ لي، ويُنيلُني مِن مُنادمتِهِ أعظمَ النَّيْلِ، وقدْ أصبحتُ بحمدِ اللهِ وما بي ألمٌ)[٣].

❖ مِنَ الذين عُنُوا بجمعِ الكتبِ:

- (القاضي الفاضلُ الكاتبُ المشهورُ ، وكان عندَهُ منَ الكتبِ ما

---

(١) (تاريخ الإسلام، للذهبي) (١٨/٣٧٥).

(٢) (وفيات الأعيان، لابن خلكان) (١/١٠٤).

(٣) (الرسائل المتبادلة، للعجمي، بتصرف) (ص١٢٠،١٢١).

يملأُ البيوتَ حتَّى كانَ عندهُ مِنْ (صحاحِ الجوهريِّ) ستَّ عشرةَ نسخةً.

- الوزيرُ القفطيُّ، اشْتهرَ بحبِّه للكتبِ، وكَلَفِه بجمعِها، ووصفَه عصرِيُّه ياقوتُ الحمويُّ، بأنَّه جمَّاعةٌ للكتبِ، حريصٌ عليها.

- الصاحبُ بنُ عبادٍ، وكانَ يملكُ هو والقاضي الفاضلُ من كُبْرَياتِ خزائنِ الكتبِ القديمةِ، فقدْ تجاوزَ عددُ كتبِ كلٍّ منهما (١٠٠٠٠٠) مجلدٍ.

- أبو مطرفٍ القاضي بقرطبةَ، جمعَ مِن الكتبِ ما لمْ يجمَعْه أحدٌ مِن أهلِ عصرِهِ في الأندلسِ، وكانَ عندَه ستَّةُ ورَّاقينَ، ينسَخُونَ له باستمرارٍ)[1].

٣- شراءُ الكتبِ:

(علَى الإنسانِ أنْ يكونَ متوسِّطاً في أمورِهِ كلِّها، فما يحتاجُه مِن الكتبِ يَقْتنيه، وما ينفعُه عندَ المراجعةِ يقتنيه، أمَّا أن يجمعَ كلَّ كتابٍ يسمعُ عنهُ يحتاجُه، أو لا يحتاجُه؛ ليُقالَ: إنَّ عندَهُ مِن كلِّ كتابٍ نسخة فهذِهِ مصيبةٌ!

إنَّ الفائدةَ مِن جمعِ الكتبِ تحصيلُ العلمِ الشرعيِّ، والعلمُ الشرعيُّ مِن أمورِ الأخرَى المحضةِ، الَّتي لا يجوزُ التشريكُ فيها، فإذا دخلَتِ النَّوايا مثل أنْ يُقالَ: إنَّ عندَ فلانٍ مكتبةً، أو عندَه أكبرُ مكتبةٍ خاصَّةٍ، فهذِهِ حقيقةٌ مُرَّةٌ، وقَدْحٌ ظاهرٌ في الإخلاصِ، وإنْ وُجِدَتْ عندَ بعضِ المتعلِّمينَ،

(١) من محاضرة (كيف يبني طالب العلم مكتبته، للخضير، بتصرف).

نسألُ اللهَ السَّلامةَ والعافيةَ[1].

قالَ الخطيبُ: (ينبغي لطالبِ العلمِ أنْ يعتنيَ بتحصيلِ الكتبِ المُحتاجِ إليها ما أمكنَه شراءٌ، وإلاَّ فإجارةٌ أو عاريةٌ، ولا يجعلُ تحصيلَها، وكثرتَها حظَّه مِن العلمِ، وجمعَها نصيبَه مِن الفهمِ، كما يفعلُه كثيرٌ مِن المنتحلِينَ للفقهِ والحديثِ.

وقدْ أحسنَ القائلُ:

إذا لمْ تكُنْ حافظاً واعياً فجمعُكَ للكُتُبِ لا ينفعُ

وينبغي للمستعيرِ أنْ يشكرَ للمُعِيرِ، ويَجزيَه خيراً، ولا يُطيلَ مُقامَ الكتابِ عندَهُ مِن غيرِ حاجةٍ، ولا يُحَشِّيَه، ولا يكتُبَ شيئاً فيهِ، إلاَّ إذا علِمَ رضا صاحبِه، ولا يُعيرَ غيرَه، ولا يُودِعَه لغيرِ ضرورةٍ، ولا يَنْسَخَ منهُ بغيرِ إذنِ صاحبِه)[2].

وقالَ الجاحظُ: (الإنسانُ لا يعلمُ حتَّى يكثُرَ سماعُه، ولابدَّ مِن أنْ تكونَ كتبُه أكثرَ مِن سماعِه، ولا يعلمُ، ولا يجمعُ العلمَ، ولا يُختَلفُ إليه، حتَّى يكونَ الإنفاقُ عليهِ مِن مالِهِ، ألذَّ عندَهُ مِن الإنفاقِ مِن مالِ عدوِّهِ، ومَنْ لمْ تكُنْ نفقتُه الَّتي تَخْرُجُ في الكتبِ ألذَّ عندَهُ من إنفاقِ عُشَّاقِ القِيانِ، والمستهترينَ بالبنيانِ، لمْ يبلُغْ في العلمِ مبلغاً رضيًّا، وليسَ ينتفِعُ بإنفاقِه، حتَّى يُؤْثِرَ اتخاذَ الكتبِ إيثارَ الأعرابيِّ فرسَه باللَّبنِ على عيالِه،

(١) من محاضرة (كيف يبني طالب العلم مكتبته، للخضير).

(٢) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة، بتصرف).(ص١٦٩،١٦٨،١٦٤).

وحتَّى يُؤمِّلَ في العلمِ ما يُؤمِّلُ الأعرابيُّ في فرسِه)[١].

وقالَ الخطيبُ: (اشترَى رجلٌ كتاباً، فقِيلَ لهُ: اشتريتَ ما ليسَ مِنْ علمِكَ، فقالَ: اشتريتُ ما ليسَ من عِلْمِي، ليصيرَ مِن علمِي.

وقيلَ لآخَرَ: ألاَ تشتري كتباً تكونُ عندَك؟! فقالَ: ما يَمنعُني مِن ذلكَ إلاَّ أنَّني لا أعلمُ، فقيلَ: إنَّما يشتريها مَنْ لا يعلمُ، حتَّى يعلمَ.

وكانَ آخرُ يشتري كلَّ كتابٍ يراهُ، فقيلَ له: إنَّكَ لَتَشْتَري ما لا تحتاجُ إليهِ. فقالَ: رُبَّما احتجْتُ إلى ما لا أحتاجُ إليهِ.

وكانَ بعضُ القضاةِ يشتري الكتبَ بالدَّيْنِ والقرضِ، فقيلَ لهُ في ذلكَ، فقالَ: أفلا أشْتَري شيئاً، بلغَ بي هذا المبلغَ ؟ قيلَ: فإنَّكَ تُكْثِرُ؛ فقالَ: على قَدْرِ الصِّناعةِ، تكونُ الآلةُ)[٢].

❖ حولَ اختيارِ الطَّبعاتِ:

قالَ الدكتورُ محمود الطناحيُّ: (واجبٌ على طالبِ العلمِ أنْ يعرفَ فرقَ ما بينَ الطبعاتِ، فإنَّ كثيراً من كتبِ التُّراثِ، قدْ طُبِعَ مرتينِ أوْ أكثرَ، وتتفاوتُ هذه الطبعاتُ فيما بينَها كمالاً ونقصاً، وصحةً وسقماً، ولا بدَّ أنْ يكونَ رجوعُ الطالبِ إلى الطبعةِ المستوفيةِ لشرائطِ الصحةِ والقبولِ وهذه الشَّرائطُ ظاهرةٌ لائحةٌ لمن يتأمَّلها، وتتمثلُ في التقديمِ للكتابِ، وبيانِ وزنه العلميِّ، وفهرستِه فهرسةً فنيَّةً تتكشفُ عن كنوزِه

---

(١) (الحيوان، للجاحظ) (١/٥٥).

(٢) (تقييد العلم، للخطيب البغدادي) (ص١٣٧).

وخَباياه، والعنايةِ بضبطِه الضبطَ الصحيحَ، والتعليقِ عليـــهِ بمـــا يُضـــيئه، ويَربطُه بما قبلَهُ وبما بعدَهُ، في غيرِ سَـــرَفٍ ولا شَـــطَطٍ، ثمَّ في الإخـــراجِ الطِّباعيِّ المتمثِّلِ في جودةِ الوَرَقِ، ونَصاعَةِ الحرفِ الطِّباعِيِّ...)[1].

٤- مصطلحاتٌ متعلقةٌ بعناوينِ الكتبِ:

اهتمَّ كثيرٌ من العلماءِ بتدوينِ أسماءِ مشايخِهم، أو مسموعاتِهم، أو إجازاتِهم، وقدْ أُلِّفَتْ في ذلكَ كتبٌ تحملُ أسمـــاءً مختلفـــةً مـــعَ تشـــابُهِ مضامينِها:

(**المَشْيَخَةُ**) وهيَ الكتبُ الَّتي يذكُرُ فيها المؤلِّفُ الشـــيوخَ الَّـــذينَ لقيَهم، وأخذَ عنهم، أو أجازوهُ وإن لمْ يلْقَهُم.

(**المعاجمُ**) الكتبُ التي يُتَرجِمُ فيها المؤلِّفُ شيوخَهُ مـــرتَّبينَ علـــى حروفِ المعجمِ، وقدْ يَذكُرُ ما رواهُ عنهم.

(**الثَّبَتُ**) بفتحِ الباءِ، هو الَّذي يجمعُ فيهِ المؤلِّفُ أسماءَ مؤلَّفاتِـــهِ، أو الَّذي يجمعُ فيهِ مرويَّاتِه، ومشايخَه.

هذا من الناحيةِ النظريةِ، أمَّا عمليًّا فربما جمعَ الكتابُ، أكثرَ مـــن نوعٍ، وسُمِّيَ بأحدِها فقطْ.

(**الفهرسُ**) هو الَّذي يجمعُ فيه المؤلِّفُ مروياتِه المُجازَ فيهـــا مِـــن الشيوخِ.

(**البرنامجُ**) هي التي يذكُرُ فيها المؤلِّفُ أسماءَ مرويَّاتِه، وأسانيدَ كتبِه المسموعةِ.

---

(١) (الموجز في تراجم البلدان والمصنفات وتعريفات العلوم، للطناحي) (ص٢٢).

قالَ الكتَّانيُّ: (اعلمْ أنَّهُ بعدَ التتبُّعِ والتروِّي ظهَر أنَّ الأوائلَ كـانُوا يُطْلِقون لفظةَ المَشْيَخَةِ على الجزءِ الَّذي يجمعُ فيهِ المحدِّثُ أسماءَ شـيوخِه، ومرويَّاتِهِ عنهم، ثمَّ صارُوا يُطلِقُون عليهِ بعدَ ذلكَ المعجمَ؛ لَمَّـا صـارُوا يُفرِدُون أسماءَ الشيوخِ، ويرتِّبونَهم على حروفِ المعجمِ، فكَثُرَ اسـتعمالُ وإطلاقُ المعاجمِ مع المَشْيَخاتِ. وأهلُ الأندلسِ يسـتعملونَ ويُطلِقُـونَ البرنامجَ، أمَّا القرونُ الأخيرةُ، فأهلُ المشرقِ يقولونَ إلى الآنَ الثَّبَتَ، وأهلُ المغربِ إلى الآنَ يسمونَه الفهرسةَ)[١].

٥- القراءةُ:

(إنَّ امتلاكَ القدرةِ على التركيزِ، واستحضارِ الفكرِ، امتلاكٌ لِزِمَامِ المادةِ العلميَّةِ، وهي السبيلُ الرئيسُ للوُصولِ إلى الفهمِ، والإتقانِ، ويختلفُ مقدارُ التركيزِ المطلوبِ في القراءةِ حسـبَ طبيعـةِ الكتـابِ المقـروءِ، ومستواهُ، وحسبَ مستوَى القارئِ الثَّقافيِّ أيضاً، وحسبَ الهـدفِ مِـن القراءةِ، فمقدارُ التركيزِ الواجبِ لقراءةِ كتابٍ علميٍّ متخصِّصٍ، يختلـفُ عن التركيزِ المطلوبِ، لقراءةِ قصَّةٍ أدبيَّةٍ، أو كتابٍ في الثقافةِ العامةِ)[٢].

❖ الوصولُ للسُّرعةِ المناسبةِ في القراءةِ:

(إنَّ السُّرعةَ المناسبةَ في القراءةِ تعتمدُ على نوعِ المَقرُوءِ وعلى الغرضِ من القراءةِ فقراءةُ الجرائدِ والموادِّ القصصيَّةِ يمكنُ الإسراعُ فيها أكثرَ مِن الموضوعاتِ العلميَّةِ العميقةِ كأصولِ الفقهِ مثلاً، ثمَّ إنَّ الغرضَ

---

(١) (فهرس الفهارس والأثبات، لعبد الحي الكتاني) (١/٦٧).

(٢) (من آفات القراءة، لأحمد الصويان).

من القراءةِ يُؤثِّرَ في السُّرعةِ، فإذا كانَ المقصودُ من القراءةِ الفهمَ تَطلَّبَ الأمرُ نوعاً من التأنِّي، وإذا كانَ المقصودُ مراجعةَ الحفظِ أو قراءةَ الحدرِ فإنَّ السُّرعةَ تزيدُ (القراءةُ السَّريعةُ قدْ تصلُ إلى ٦٠٠ كلمةٍ في الدَّقيقةِ)، وإذا كانَ المقصودُ التصفُّحَ؛ لتكوينِ فكرةٍ عامَّةٍ عن كتابٍ ليسَ في المقدورِ قراءتُهُ الآنَ، فإنَّ القارئَ سيقرأُ أوَّلَ جملةٍ مِن كُلِّ مقطعٍ أو شيئاً مِن وَسطِ الصفحةِ، وهذا حالُ مَن يَبحثُ عن موضعِ معلومةٍ سَبَقَ قراءتُها، أو يلجأُ إلى القراءةِ الخاطفةِ في كتابٍ ليُقرِّرَ ما إذا كانَ يريدُ شراءَه أمْ لا، ورُبَّما يحتاجُ الأمرُ إلى شيءٍ أسرعَ مِن ذلكَ كمَنْ أرادَ معرفةَ الفكرةِ العامَّةِ للكتابِ، فهو يقرأُ عناوينَ الفصولِ والفهرسَ، وينتقي صفحاتٍ عشوائيًّا للنظرِ فيها، ويمرِّرُ أخرى بتقليبٍ سريعٍ.

وإذا ما أردتَ معرفةَ هلْ سرعتُكَ في القراءةِ مناسبةٌ أم لا فاقرأْ سرًّا لمدةِ خمسِ دقائقَ.. ثمَّ قُمْ بعدِّ الكلماتِ وقِسْمَةِ المجموعِ على خمسةٍ، فإنْ كانَ الناتجُ (١٥٠) كلمةً فأقلَّ فأنتَ بطيءُ القراءةِ، وعليكَ أنْ تسعَى لزيادةِ سرعةِ قراءتِكَ، وفيما يلي اقتراحاتٌ لبعضِ الخبراءِ:

- أنْ تقرأَ خمسَ دقائقَ مثلاً كلَّ يومٍ ولمدَّةِ شهرٍ بأسرعَ ما تطيقُ، تاركاً الانشغالَ بالمعنى مؤقَّتاً.
- توسيعُ نطاقِ النَّظرِ أثناءَ القراءةِ، بإقلالِ زمنِ الوقوفِ على رسمِ الكلمةِ الواحدةِ.
- أن تكونَ القراءةُ صامتةً دونَ تحريكٍ للشَّفتينِ أو رفعُ الصوتِ، معَ عدمِ الرجوعِ للكلمةِ المُبْهَمةِ أو تكرارِها، فمعناها سيتبيَّنُ لكَ غالباً

منَ السِّياقِ والسباقِ.

وفيما يلي بعضُ الأخبارِ المحمِّسَةِ على القراءةِ:

سمعَ الخطيبُ البغداديُّ على إسماعيلَ بنِ أحمدَ الحيريِّ بمكةَ صحيحَ البخاريِّ في ثلاثةِ مجالسَ: اثنانِ منهما في ليلتينِ، كانَ يبتدئُ بالقراءةِ وقتَ المغربِ، ويَختِمُ عندَ صلاةِ الفجرِ، والثَّالثُ من ضَحْوَةِ النَّهارِ حتَّ طلوعِ الفجرِ. قالَ الذهبيُّ: وهذا شيءٌ لا أعلمُ أحداً في زمانِنَا يستطيعُهُ.

وقرَأ ابنُ حجرٍ في إقامتِهِ بدمشقَ- وكانتْ شهرينِ و ثُلُثَ الشَّهرِ- قريباً من مائةِ مجلَّدٍ)[1].

❖ أمورٌ تساعدُ على القراءةِ:

(ذكرَ العلماءُ والتربويُّونَ أسباباً كثيرةً تعينُ القارئَ على التَّركيزِ مثلَ: اختيارِ الأوقاتِ المناسبةِ، والأماكنِ الملائمةِ الخاليةِ من الصَّوارفِ، وأن يكونَ خاليَ الذِّهنِ، ولديهِ الاستعدادُ العقليُّ والنَّفسيُّ، الَّذي يُعينُهُ على استجماعِ قُدُراتِهِ الفكريَّةِ.. ونحوِ ذلك ممَّا يطولُ وصفُهُ، ولكنْ يجمعُها وصفٌ واحدٌ وهو: أن يكونَ جادًّا، حريصاً، ذا همَّةٍ صادقةٍ.
فمَنِ امتلكَ هذا الوصفَ حَرَصَ على تذليلِ كافَّةِ العقباتِ الَّتي قدْ تَعْرِضُ لهُ)[2].

---

(١) (كيف تقرأ كتاباً، للمنجد) (ص ٥٣ - ٥٥).

(٢) (من آفات القراءة، لأحمد الصويان).

❖ آفاتُ القراءةِ:

(الآفةُ الأولى: قلَّةُ الصَّبرِ على القراءةِ والمطالعةِ.
الآفةُ الثانيةُ: ضعفُ التَّركيزِ.
الآفةُ الثالثةُ: ضعفُ المنهجيَّةِ في القراءةِ)(١).

(وكثيرٌ من القرَّاءِ، لا يَحرِصُ أثناءَ القراءةِ على بناءِ فكرِهِ، وإحياءِ قدراتِهِ العقليةِ، ولا يستحثُّها للنظرِ والتأمُّلِ، وإنَّما يقعُ أسيراً ينتظرُ التَّلقينَ مِن المؤلِّفِ، ويقفُ دائماً موقفَ المتلقِّي، ومثلُ هذا وإن حصَّل كمًّا مِن المعلوماتِ فإنَّهُ ليسَ قارئاً جيِّداً؛ لأنَّه لا يملكُ البصيرةَ؛ ولا القدرةَ على التمييزِ والموازنةِ بينَ اجتهاداتِ العلماءِ، والمفكِّرينَ، فالتفكيرُ هو الَّذي يجعلُ ما نقرؤُه مِلْكاً لنا)(٢).

وقد حكَى ابنُ بدرانَ عن شيخِهِ الشيخِ محمدِ بنِ عثمانَ الحنبليِّ المشهورِ بخطيبِ دوما قالَ: (وكانَ رحِمه اللهُ يقولُ لنا: لا ينبغي لمنْ يقرأَ كتاباً أن يتصوَّرَ أنَّهُ يريدُ قراءَتَهُ مرَّةً ثانيةً لأنَّ هذا التصورَ يمنعُه عن فهمِ جميعِ الكتابِ، بل يتصوَّرُ أنَّهُ لا يعودُ إليهِ مرَّةً ثانيةً أبداً)(٣).

٦- مطالعةُ الكتبِ:

قال القاضي عياضٌ: (ذُكِرَ أنَّ صديقاً لأبي عمرَ الإشبيليِّ، شيخِ فقهاءِ الأندلسِ في وقتِهِ، قصدَهُ في عيدٍ؛ زائراً لهُ، فأصابَهُ داخلَ دارِهِ،

---

(١) (المصدر السابق).
(٢) (المصدر السابق).
(٣) (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل) (١/٢٦٦).

ودربُهُ مفتوحٌ، فجلسَ منتظرَهُ وأبطأَ عليهِ، فأوصى إليهِ فخرجَ، وهو ينظرُ في كتابٍ، فلمْ يشعُرْ بصديقِهِ حتَّى عثَرَ فيهِ؛ لاشتغالِ بالِهِ بالكتابِ، فتنبَّهَ حينئذٍ لهُ، وسلَّمَ عليهِ، واعتذرَ إليهِ من احتباسِه بشغلِه، بمسألةٍ عويصةٍ لمْ يُمكِنْه تركُها حتَّى فتحَها اللهُ عليه، فقالَ له الرَّجلُ: في أيامِ عيدٍ، ووقتِ راحةٍ مسنونةٍ؟

فقالَ: إذا عمِلَت بهذا هذهِ النفسُ الضنة إلى هذه المعرفة، واللهِ ما لي راحةٌ ولا لذَّةٌ في غيرِ النَّظرِ، والقراءةِ)[1].

قالَ السَّخاويُّ في ترجمةِ أحمدَ بنِ سليمانَ البلقاسيِّ: (كانَ.... محبًّا للعلمِ، والمذاكرةِ، والمباحثةِ، غيرَ مُنْفَكٍّ عن التحصيلِ، بحيثُ إنَّه كانَ يطالعُ في مشيهِ، ويُقْرِئُ القراءاتِ في حالِ أكلِهِ؛ خوفاً مِن ضياعِ وقتِهِ في غيرِهِ، أعجوبةً في هذا المعنَى، لا أعلمُ في وقتِهِ مَنْ يُوازيهِ فيه)[2].

وقالَ الفيروزآبادي: (اشتريتُ بخمسينَ ألفَ مثقالٍ ذهباً، كتباً. وكانَ لا يُسافِرُ إلا وصَحِبَتْه منها عدَّةُ أحمالٍ، ويُخْرِجُ أكثرَها في كلِّ منزِلَةٍ، فينظُرُ فيها، ثمَّ يُعيدُها إذا ارتحلَ)[3].

قالَ الأدفويُّ في ترجمةِ ابنِ دقيقِ العيدِ: (وكانَ لهُ قدرةٌ على المطالعةِ، رأيتُ خزانةَ المدرسةِ النَّجيبيَّةِ فيها جملةُ كتبٍ، مِن جملتِها: عيونُ

(١) (ترتيب المدارك، للقاضي عياض) (١٢٤،١٢٥/٧).

(٢) (الضوء اللامع، للسخاوي) (٣١١/١).

(٣) (الضوء اللامع، للسخاوي) (٨١/١٠).

الأدلةِ لابنِ القصَّارِ، في نحوٍ من ثلاثينَ مجلدةً وعليها علاماتٌ لهُ، وكذلكَ رأيتُ كتبَ المدرسةِ السابقيَّةِ، رأيتُ السُّننَ الكبيرَ للبيهقيِّ فيها، في كُلِّ مجلدةٍ علامةٌ، وفيها تاريخُ الخطيبِ، ومعجمُ الطبرانيِّ الكبيرُ، والبسيطُ للواحديِّ وغيرُها، وأخبرني شيخُنا الدندريُّ: أنَّهُ لَمَّا ظهرَ الشرحُ الكبيرُ للرافعيِّ اشتراهُ بألفِ درهمٍ، وصارَ يصلِّي الفرائضَ فقطْ، واشتغلَ بالمطالعةِ إلى أن أنهاه مطالعةً، ويُقالُ: إنَّه طالَعَ كتبَ الفاضليَّةِ عن آخرِها)[1].

قالَ أبو عمرَ يوسُفُ بنُ يحيى المغاميُّ: (طرقتُ عبدَالملكِ بنَ حبيبٍ الأندلسيَّ القرطبيَّ يوماً بغَلَسٍ؛ حرصاً على الاقتباسِ منه، واستأذنتُ عليهِ، فأذِنَ لي ودخلتُ، فإذا بهِ جالسٌ في مجلسه، عاكفٌ على الكتبِ، قد أحاطَتْ بهِ ينظُرُ فيها، والشَّمعةُ بينَ يديْهِ تَقِدُ، وطويلةٌ عليهِ — أي: على رأسِهِ قلنسوةٌ طويلةٌ – فسلَّمتُ فردَّ عليَّ وقالَ لي: يا يوسُفُ، أَوَقَدِ انسلخَ الليلُ؟ قلتُ: نعمْ، وقدْ صلَّيْنا، فقامَ إلى صلاةِ الصُّبحِ فصَلاها، ثمَّ رجعَ إلى مَقْعدِه، وقالَ: يا يوسُفُ، ما صلَّيْتُ هذه الصَّلاةَ إلاَّ بوضوءِ العشاءِ الآخرةِ)![2].

قالَ ابنُ حُميدٍ في ترجمةِ عبدِالوهَّابِ بنِ محمَّدٍ التميميِّ الأحسائيِّ: (أكبَّ على تحصيلِ العلمِ، وإدمانِ المطالعةِ، والمراجعةِ، والمذاكرةِ، والمباحثةِ، ليلاً ونهاراً، لمْ تنصرفْ همَّتُه على غيرِه أصلاً، حتَّى إنَّهُ لَمَّا تزوَّج بأمرِ والدِه وإلزامِه، أخذَ ليلةَ الدُّخولِ معهُ المحفظةَ، فلمَّا انصرفَ عنهُ الناسُ

(١) (الطالع السعيد، للأدفوي) (ص٥٨٠).
(٢) (ترتيب المدارك، للقاضي عياض) (١٣٨/٤).

نزَّلَ السِّراجَ، وقعدَ يُطالعُ الدُّروسَ الَّتي يريدُ أن يقرأَها في غدٍ، ويُقَدِّرُ في نفسِهِ أنَّهُ بعدَ إتمامِ المطالَعةِ يُباشِرُ أهلَهُ، فاستغرقَ في المطالعـــةِ إلى أن أذَّنَ الصُّبحُ، فتوضَّأَ وخرجَ للصَّلاةِ، وحضرَ دروسَ والدِهِ مِن أوَّلِها، ولمْ يعلمْ والدُه بذلكَ؛ لكونِهِ لا يُبصِرُ، ولَّما فَرغَ مِن الدروسِ، باركَ لهُ الحاضرونَ، وفي الَّليلةِ الثَّانيةِ، فعلَ كفعلِه بالأمسِ، ولمْ يقرُبْ أهلَهُ مِن غـــيرِ قصـــدٍ للتَّركِ، لكنْ لاشتغالِهِ بالمطالعةِ، فيقولُ في نفسِهِ: أطالعُ الدرسَ، ثمَّ ألتفتُ إلى الأهلِ، فيَستغرِقُ إلى أن يُصبِحَ، فأَخْبَرَتِ المرأةُ وليَّها بذلكَ، فـــذهبَ وأخبرَ والدَهُ بالقصَّةِ، فدعاهُ والدُهُ وعاتبَهُ، وأخذَ منهُ المحفظةَ، وأكَّدَ عليهِ بالإقبالِ عليها)[1].

قالَ ابنُ الآبنوسيِّ: (كانَ الحافظُ الخطيبُ يمشي وفي يـــدِهِ جـــزءٌ يُطالِعُه)[2].

وفي ترجمةِ أبي داودَ السِّجستانيِّ صاحبِ (السننِ): قالَ ابنُ داسَةَ: (كانَ لأبي داودَ كُمٌّ واسعٌ، وكُمٌّ ضيِّقٌ، فقيلَ لهُ في ذلكَ؟ فقالَ: الواسعُ للكتبِ، والآخَرُ لا يُحتَاجُ إليهِ)[3].

وذكرَ العسكريُّ، أنَّ أبا بكرٍ الخيَّاطَ - العلاَّمةَ النحويَّ محمدَ بنَ أحمدَ البغداديَّ (ت٣٢٠) - كانَ يدرسُ جميعَ أوقاتِهِ، حتَّى في الطريـــقِ، وكانَ ربَّما سقطَ في جرفٍ، أو خَبَطَتْهُ دابَّةٌ[1].

---

(١) (السحب الوابلة، لابن حميد، بتصرف) (٢/٦٨٢).

(٢) (سير أعلام النبلاء، للذهبي) (١٨/٢٨١).

(٣) (المصدر السابق) (١٣/٢١٧).

٧- استعارةُ الكتبِ:

قالَ الشيخُ الأديبُ علي الطنطاوي: (ومثلُ هــؤلاءِ المقترضــينَ الأفاضلُ مستعيرو الكتبِ، أولئكَ الذين تركوا في قلبي غصَصاً، حلفــتُ بعدَها بموثقاتِ الأيْمانِ، أنِّي لا أعيرُ أحداً كتاباً، ولَمْ أنجُ معَ ذلكَ منهم، ولَمْ يُرَدَّ لي إلى الآن كتابُ (كشفِ الظُّنونِ) الَّذي نسيتُ مَنِ استعارَه منِّي منذُ إحدى عشْرَةَ سنةً، ولهؤلاءِ المستعيرينَ نوادرُ، شَهِدتُ منها العَجَبَ، منها أنَّ أستاذاً محترماً في قومِهِ جاءني مرَّةً يلتمسُ إعارتَهُ جزءاً مِن (تفسيرِ الخازنِ)، من خزانةِ كتبِي؛ ليراجعَ فيهِ مسألةً، ويرُدَّهُ إليَّ عاجلاً، ففعلتُ، وانتظرتُ أربعَ سنواتٍ ثمَّ ذكَّرتُه بهِ، فغضبَ وقالَ: ليش العجلةُ يا أستاذ؟ لم أراجعِ المسألةَ بَعْدُ!

والَّذي يذكُرُ منهم صاحبَ الكتابِ، ويتنازلُ، فيرُدُّهُ إليهِ، يــرُدُّهُ مخلوعَ الجلدِ، ممزَّقَ الأوصالِ.

وأنكَى منهُ المستعيرُ، المحقِّقُ، المدقِّقُ، الَّذي يرَى في الكتابِ موْطناً يحتاجُ إلى تعليقٍ، فيكتبُ التعليقةَ التي يفتحُ اللهُ بها عليهِ، علــى هــامشِ كتابِكَ، بالحبرِ الصينيِّ الَّذي لا يُمحَى، ولا يُكشَــطُ، ويُــذيِّلُها باسمِــهِ الكريمِ!!

وشرٌّ مِنْ هؤلاءِ جميعاً، الثقيلُ الَّذي يتظرَّفُ ويتخففُ، فــيرى أنَّ مِن الظُّرفِ سرقةَ الكتبِ، فإذا زارَكَ وتركتَهُ في المكتبةِ، وخرجتَ؛ لتأتيَهُ

(١) (الحث على طلب العلم) (ص٧٧).

بالقهوةِ والشَّاي، أخذَ كتاباً فدسَّهُ تحتَ إبطِهِ، أو وضعَهُ في جيبِهِ، ثمَّ ذهبَ بِهِ، وأنتَ لا تدري)(١).

واشتَهَرَ قولُ بعضِهم:

ألا يا مُسْتعيرَ الكُتْبِ دعني ... فإنَّ إعارتي للكُتْبِ عارُ

فمحبوبي مِن الدُّنيا كتابٌ ... فهلْ أبصرتَ محبوباً يُعارُ؟

قال المُبَرِّدُ: (أتَى الأصمعيَّ رجلٌ فسألهُ أن يكتبَ لهُ شيئاً مِن العلمِ، فكتبهُ لهُ، فلمَّا كانَ بعدَ أيامٍ، عادَ إليهِ، فقالَ: يا أبا سعيدٍ، إنَّ ذلكَ القرطاسَ الَّذي كتبتَهُ لي سقطَ منِّي، فأكلتْهُ الشاةُ، فأُحِبُّ أن تكتبَ لي غيرَهُ ثانياً.

فكتبَ لهَ:

قلْ لبُغاةِ الآدابِ ما وصلَتْ ... منها إليكُم فلا تُضِيعُوها

ضَمِّنُوا علمَها الدفاترَ والحِبْرَ ... بحسنِ الكتابِ أَوْ عُوها

إنِ اشتريتُمُوا يوماً لأهلِكُمُ ... شاةً لَبُونَاً فلا تُجيعُوها

فإنْ عَجزتُم ولْم يكنْ عَلَفٌ ... يُشبِعُها عندَكُمُ فبيعُوها)(٢)

ولمعرفةِ حُكمِ إعارةِ الكتبِ، وبذلِها لمن يحتاجُ إليها، والشروطِ المعتبرَةِ للإعارةِ، وآدابِ الإعارةِ والاستعارةِ، عليكَ بكتابِ (إعارةِ الكتبِ أحكامها وآدابها في الفقهِ الإسلاميِّ)، لصالح محمَّد الرَّشيد، فقدْ ألقى

---

(١) (في سبيل الإصلاح، للطنطاوي) (٩٦،٩٧).

(٢) (تقييد العلم، للخطيب البغدادي) (ص١٤٧).

الضوءَ على هذا الموضوعِ، وكشفَ كثيراً من أحكامِهِ، وآدابِهِ، والكتابُ مفيدٌ في هذا البابِ.

٨- التأدُّبُ معَ الكتبِ:

قالَ ابنُ جماعةَ عن الكتبِ:

(إذا وضعَها على خشبٍ ونحوِهِ، جعلَ فوقَها، أو تحتَها، ما يمنعُ تآكلَ جلودِها بِهِ، ولا يجعلُ الكتابَ خزانةً للكراريسِ أو غيرِها، ولا مخدَّةً، ولا مِروحةً، ولا مسنداً، ولا مُتَّكَئاً، ولا مقتلةً للبقِّ وغيرِهِ، ولا يطوي حاشيةَ الورقةِ أو زاويتَها، ولا يُعلِّمُ بعودٍ أو شيءٍ جافٍّ، بل بورقةٍ أو نحوِها، وإذا ظفرَ فلا يكبُسُ ظُفرَهُ قويًّا.

ويُراعِي الأدبَ في وضعِ الكتبِ، باعتبارِ علومِها، وشرفِها، وشرفِ مصنِّفِيها، وجلالتِهِم، فيضعُ الأشرفَ أعلى الكلِّ، ثمَّ يراعي التَّدريجَ، فإن كانَ فيها المصحفُ الكريمُ، جعلَهُ أعلى الكلِّ، وهكذا)[1].

(رأى بعضُ الحكماءِ رجلاً يبتذلُ كتاباً، فقالَ لهُ: (بيَّنْتَ عن نقصِكَ، وبرْهَنْتَ عن جهلِكَ؛ فما أهانَ أحدٌ كتابَ علمٍ؛ إلاَّ لجهلِهِ بما فيهِ؛ وسوءِ معرفتِهِ بما يَحويهِ.

ورأى آخرُ رجلاً قدْ جلَسَ على كتابٍ، فقالَ: سبحانَ اللهِ، يصونُ ثيابَهُ ولا يصونُ كتابَهُ، لَصَوْنُ الكتابِ أولى من صَوْنِ الثِّيابِ)[2].

---

(١) (تذكرة السامع، لابن جماعة بتصرف) (ص١٧٠،١٧١).

(٢) (تقييد العلم، للخطيب البغدادي) (ص٣٥٣).

سادساً: إضاءات عن ورثة الأنبياء

١- حقيقةُ العالِمِ:

مِن الأمورِ المستنكرةِ في هذا الزمانِ المغالاةُ في إطــلاقِ الألقــابِ العلميةِ، فأصبحَ إطلاقُ لقبِ عالمٍ أو علامةٍ أو محدثٍ أو فقيهٍ على طلبــةِ العلمِ مِن قبلِ تلامذتِهم أمراً شائعاً، وما ذلك إلا لفشوِّ الجهلِ بحقيقةِ العالمِ وشروطِه وصفاتِه، والتي قد لا تتوفرُ في كثيرٍ ممن تُطلــقُ علــيهم هــذه الألقابُ، وقد سُئِل عبدُالله بنُ المباركِ هل للعلماءِ علامةٌ يُعْرفون بها؟ قال: علامةُ العالمِ مَن عمِل بعلمِه، واستقلَّ كثيرَ العلمِ والعملِ مِــن نفسِــه، ورغِبَ في علمِ غيرِه، وقبِل الحقَّ مِن كلِّ مَن أتَاهُ به، وأخَذ العلمَ حيــثُ وجَده، فهذه علامةُ العالمِ وصفتُه. قال المرُّوذِيُّ: فــذكرتُ ذلــك لأبي عبدِالله. فقال: هكذا هو[1].

ورحِم اللهُ الحسنَ البصريَّ، عندمَا سألَه مطرٌ الوراقُ عن مســألةٍ فأجَابَه، فقال له: يا أبا سعيدٍ يَأبَى عَليكَ الفقهــاءُ، يخالفونَــكَ. فقــالَ الحسنُ: (ثَكِلَتكَ أمُّكَ، انظرْ، وهل رأيتَ فقيهاً قط؟ وهلْ تَــدْري مَــن الفَقيهُ، الفَقِيهُ: الوَرِعُ، الزاهدُ، المقيمُ على سنَّةِ محمدٍ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، الذِي لا يسخرُ بمن أسفلَ مِنهُ، ولا يَهْزَأُ بمن فوقَهُ، ولا يَأخذُ على علــمٍ عَلَّمهُ الله إيَّاهُ حطاماً)[2].

---

(١) (إبطال الحيل، لابن بطة العكبري) (ص٢١).

(٢) (طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى) (١٤٨/٢).

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنْهُ قالَ: (أَلا أُخبرُكُم بالفقيهِ، حق الفقيهِ الذي لا يُقَنِّطُ النَّاسَ من رَحمَةِ اللهِ، ولا يُرَخِّصُ للمرءِ في معاصِي اللهِ، ولا يَدَعُ القرآنَ رغبةً إلى غيرِه، إنَّه لا خيرَ في عبادةٍ لا علمَ فيها، ولا خيرَ في علمٍ لا فِقهَ فيهِ، وَلا خَيرَ في قراءةٍ لا تَدَبُّرَ مَعَها)[١].

٢- من صفاتِ العلماءِ:

أ- خشيةُ اللهِ:

قال عبدُالله بنُ مسعودٍ: (ليسَ العلمُ للمرءِ بكثرةِ الروايةِ، ولكــنَّ العلمَ الخشيةُ) [٢].

عن مالكِ بنِ مغول قال: (استفتَى رجلٌ الشعبيَّ فقال: أيُّها العــالمُ، أفْتِني. فقال: إنَّما العالمُ مَن يخافُ اللهَ) [٣].

وقالَ الإمامُ أحمدُ: (أصلُ العلمِ خشيةُ اللهِ تعالَى)[٤].

وعن عبدِالله بنِ أحمدَ قالَ: قلتُ لأبي: (هلْ كانَ مَعَ مِعْرُوفٍ شيءٌ منَ العلمِ؟ قالَ لِي: يا بُنَيَّ، كانَ مَعَهُ رأسُ العلمِ؛ خشيةُ اللهِ تَعَالَى)[٥].

قالَ الحسنُ: (كانَ الرجلُ يطلبُ العلمَ، فلا يَلْبَثُ أن يُرَى ذلــكَ في تَخَشُّعِه وهَدْيِه وَلِسَانه وَبَصَرِه وَيَدِه)[١].

---

(١) (كتاب العلم، لأبي خيثمة) (ص٣٣).

(٢) (إبطال الحيل، لابن بطة) (ص٢٠).

(٣) (المصدر السابق) (ص٢١).

(٤) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد) (ص٩).

(٥) (طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى) (٣٨٢/١).

قالَ ابنُ الجَوْزِيِّ: (رأيتُ أكثرَ العلماءِ مُشْتَغِلِينَ بصورةِ العلمِ دونَ فَهْمِ حَقِيقَتِه ومَقْصُودِه، فالقَارِئُ مشغولٌ بالرواياتِ، عاكفٌ على الشَّواذِّ، يَرَى أنَّ المقصودَ نَفْسُ التلاوةِ، ولا يَتَلَمَّحُ عظمةَ الْمُتَكَلِّمِ؛ ولا زَجْرَ القُرآنِ ووعدَه..

والمُحَدِّثُ يَجْمَعُ الطُّرُقَ، وَيَحْفَظُ الأَسَانِيدَ، ولا يَتَأَمَّلُ مقصودَ المنقولِ، ويَرَى أَنَّه قد حَفِظَ على الناسِ الأحاديثَ، فهو يَرجُو بذلك السَّلامَةَ...

والفَقِيهُ قد وَقَعَ لَهُ أَنَّهُ بِمَا قَد عَرَفَ مِن الجِدَالِ الَّذِي يُقَوِّي بِهِ خِصَامَهُ، أوِ المَسَائِلِ الَّتِي يُفْتِي بها النَّاسَ ما يَرْفَعُ قَدْرَه، ويَمْحُو ذَنْبَه...

ويَنْضَافُ إليه مَعَ الجَهْلِ بهما حُبُّ الرِّياسَةِ، وإيثارُ الغَلَبَةِ في الجَدَلِ، فَتزيدُ قَسْوَةُ قَلْبِه، وعلى هذا أكثرُ النَّاسِ، صُوَرُ العِلْمِ عندَهُم صِنَاعةٌ، فَهِي تُكْسِبُهم الكِبْرَ والحَمَاقَةَ...)

ثم قالَ: (.. وهؤلاءِ لم يفهمُوا مَعْنَى العلمِ، وليس العلمُ صورَ الألفاظِ، إنَّما المقصودُ فَهْمُ المرادِ منْه، وذاكَ يُورِثُ الخشيةَ والخوفَ، ويرَى المِنَّةَ للمُنْعِمِ بالعِلْمِ، وقوَّةَ الحُجَّةِ له على الْمُتَعَلِّمِ..)[٢].

ب- شِدَّةُ الانشغالِ بالعلمِ:

قالَ ابنُ مُحرِّمٍ الفقيهُ، أحدُ تلامذةِ محمَّدِ بنِ جريرٍ: (لما تزوجتُ،

---

(١) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (١/٢١٦).

(٢) (صيد الخاطر، لابن الجوزي، بتصرف) (ص ٤٣٦ – ٤٣٨).

وحُمِلَت إليَّ المرأةُ، جلسْتُ في بعضِ الأيَّامِ، أَكْتُبُ شَيْئاً علــى العـــادةِ، والمحبرةُ بينَ يَدَيَّ، فجاءَتْ أُمُّها، فأخذَتِ المحبرةَ فضـــربَتْ بهـــا الأرضَ، فكَسَرَتْها، فقلتُ لَها في ذَلك. فقالَتْ: هذهِ شرٌّ على ابنَتِي مِنْ ثَلاثِ مئةِ ضَرَّةٍ)[1].

وكانَ ابنُ شهاب الزُّهْرِيُّ إذا جَلَسَ في بَيتِهِ وَضَعَ كُتُبَه حَولَه، فَيَشْتَغِلُ بها عَن كُلِّ شيءٍ مِنْ أُمورِ الدُّنيا، فقالَتْ له امرأتُه يوماً: (واللهِ لهذهِ الكتبُ أَشَدُّ عليَّ مِنْ ثَلاثِ ضَرَائِرَ)[2].

وعن نُعَيمِ بنِ حمَّادٍ قَالَ: (كان ابنُ المباركِ يُكْثِرُ الجلوسَ في بَيتِــهِ، فقِيلَ لَهُ: ألا تَسْتَوحِشُ؟ فَقَالَ: كيفَ أستوحشُ وأنَا مَعَ النَّبِيِّ صَـــلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأصْحَابِهِ؟!)[3].

وقالَ يَحْيَى بنُ محمَّدِ بنِ يَحْيَى الذهليُّ: (دخلْــتُ علَــى أبي في الصيفِ الصائفِ، وقتَ القَائِلَةِ، وهو في بيتِ كُتُبِهِ، وبَيْنَ يَدَيْهِ السِّـــرَاجُ، وهو يُصنِّفُ، فقلتُ: يَا أبه، هذا وقتُ الصلاةِ، ودخانُ هـــذا الســـراجِ بالنهارِ، فلو نفَّستَ عن نفسكَ. قالَ: يا بُنَيَّ تقولُ لِي هذا، وأنَـــا مَـــعَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأَصْحَابِه والتَابِعِينَ؟!)[4].

وقَالَ أبو عليٍّ الأوقيُّ: سمعتُ السِّلفيَّ يقولُ: (لِي ستونَ سَنَةً مـــا

(١) (تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي) (٣٢١/١).
(٢) (وفيات الأعيان، لابن خلكان) (١٧٧/٤ - ١٧٨).
(٣) (سير أعلام النبلاء، للذهبي) (٣٨٢/٨).
(٤) (تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي) (٤١٩/٣).

رأيتُ منارةَ الإسكندريةِ - وكانتْ من أعاجيبِ الدنيا السَّبْعَةِ - إلا مِـــن هذِهِ الطَّاقَةِ. يَعْنِي طاقةَ حُجْرَتِهِ في المدرسةِ)[١].

ج- عمقُ الفَهْمِ:

قالَ عبدُالرحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ: (معرفةُ الحــديثِ، إلهــامٌ). وقَــالَ: (إِنْكَارُنَا الحديثَ عندَ الجُهَّالِ، كهانَةٌ)[٢].

ولَمَّا أَنْكَرَ ابنُ مَهْدِيٍّ حديثاً رَواه رجلٌ، غَضِبَ للرجلِ جَمَاعــةٌ، وقالَوا لَهُ: مِنْ أيْنَ قُلْتَ هذا في صاحِبنا؟ قالَ لهم: (أرَأيتُم لَو أنَّ رجلاً أتَى بدِينَارٍ إلى صَيْرَفِيٍّ، فقَالَ: انْتَقِدْ لِي هذا. فَقَالَ الصَّيْرَفِيُّ: هوَ بَهْرجٌ . يَقُولُ له: مِنْ أينَ قُلْتَ لِي: إِنَّهُ بَهْرجٌ؟ ثم قال: الْزَمْ عَمَلِي هذَا عشرينَ سنةً حتى تَعْلَمَ منه ما أعْلَمُ) [٣].

وقَالَ أحمدُ بنُ صالحٍ المصرِيُّ: (معرفةُ الحــديثِ بمترلــةِ معرفــةِ الذهبِ، إِنَّمَا يُبْصِرُه أهْلُه)[٤].

د- الانضباطُ في التعاملِ معَ المخالفِ:

قالَ ابنُ تَيْمِيَّةَ في مجموعِ الفَتَاوَى: (هذا وأنا في سعةِ صدرٍ لِمَــن يخالِفُنِي، فإِنَّه وإنْ تَعَدَّى حدودَ اللهِ فِيَّ، بتكفيرٍ أو تفسيقٍ أو افتــراءٍ، أو عصبيةٍ جاهليةٍ، فأنا لا أَتَعَدَّى حدودَ اللهِ فيهِ؛ بلْ أضبِطُ مَا أقُولُه، وأفْعَلُه،

(١) (تاريخ الإسلام، للذهبي) (٢٠١/٤٠).
(٢) (علل الحديث، لابن أبي حاتم) (١٢٤/١).
(٣) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (٣٨٣/٢).
(٤) (المصدر السابق).

وأزنُه بميزانِ العدلِ، وأجعلُهُ مُؤْتمًّا بالكتاب َالذي أنزلَهُ اللهُ، وجعلَهُ هــدىً للنَّاسِ، حَاكِماً فيما اختلَفُوا فِيهِ)(١).

وقَالَ أَيضاً: (وإذا اجتمعَ في الرجلِ الواحدِ خيرٌ وشَرٌّ، وفجــورٌ وطاعةٌ ومعصيةٌ، وسنَّةٌ وبدعةٌ، استَحَقَّ مِنَ الموالاةِ والثوابِ بقدرِ ما فيــهِ من الخيرِ، واستَحَقَّ مِنَ المعاداةِ والعِقَابِ بحسبِ ما فيهِ من الشَّرِّ، فيجتمعُ في الشخصِ الواحدِ موجباتُ الإكرامِ، والإهانةِ، فيجتمعُ لهُ مِــنْ هَــذَا وهَذَا)(٢).

٣- أحوالُ العلماءِ الرَّبَّانيِّينَ:

عن ابنِ المسيَّبِ قالَ: (ما لقِيتُ الناسَ مُنْصَرِفِينَ من صــلاةٍ مُنْــذُ أربعينَ سنةً)(٣).

وكانَ الشَافِعِيُّ رحمَهُ اللهُ تعالَى قد جزَّأَ الليلةَ ثلاثةَ أجزاءٍ: الثلــثَ الأوَّلَ: يَكْتُبُ، والثَّانيَ: يُصَلِّي فيهِ، والثَّالَثَ: يَنَامُ(٤).

وقَالَ الرَّبيعُ: (نِمتُ في مترلِ الشَّافِعِيِّ لَيَالِيَ، فلمْ يَكُنْ يَنَامُ مِــنَ اللَّيلِ إلا أيْسَرَه)(٥).

قالَ أبو إسحَاقَ السَّبيعِيُّ: (يا مَعْشَرَ الشَّبابِ، اغتنمُــوا – يَعْنِــي

(١) (مجموع فتاوى ابن تيمية) (٣/٢٤٥).

(٢) (مجموع الفتاوى) (٢٨/٢٠٩).

(٣) (الطبقات الكبرى، لابن سعد) (٥/١٣١).

(٤) (حلية الأولياء، لأبي نعيم) (٩/١٣٥).

(٥) (المجموع، للنووي) (١/١٢).

قُوَّتكُم وشَبَابَكم - قلَّمَا مرَّتْ بي ليلةٌ، إلا وأقرأُ فيها ألفَ آيةٍ، وإنِّي لأقرأُ البقرةَ في ركعةٍ، وإنِّي لأصومُ أشهرَ الحُرُمِ وثلاثةَ أيامٍ مِنْ كُلِّ شهرٍ والإثنين والخميسَ. ثُمَّ تَلا: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [سورة الضحى:١١]) (١).

وعنْ عبدِالرَّحمنِ بنِ مهديٍّ: (لو قيلَ لحمَّادِ بنِ سَلَمَةَ: إنَّكَ تموتُ غداً. ما قدرَ أَنْ يزيدَ في العملِ شيئاً)(٢).

قالَ الشيخُ عبدُالكريمِ الخُضَير:

(كانَ الشيخُ عبدُالعزيزِ بنُ بازٍ رحمَهُ اللهُ تعالَى مضربَ المثلِ في التضحيةِ، حيثُ بذلَ جميعَ وقتِهِ للدعوةِ والتعليمِ، وقضاءِ الحاجاتِ، وحدثتْنَا زوجتُهُ أنَّهُ في ليلةٍ منَ الليالِي جاءَ من المُسْتَشْفَى، ولاحظتْ عليهِ آثارَ التَّعبِ، فضبطَتْ السَّاعةَ بعدَ عادتِهِ في القيامِ بساعةٍ؛ رأفةً بهِ، فانتبَهَ على العادةِ، وسألَهَا لِمَ لَمْ يَشْتَغِلْ مُنَبِّهُ السَّاعةِ ؟ فأخبرتْهُ، فلامَهَا علَى ذلكَ، وأَخبرَتْهُ أنَّهَا فعلتْ ذلكَ من أجلِ راحتِهِ، فقالَ رحمَهُ اللهُ: الرَّاحةُ في الجَنَّةِ، وكانَ معدَّلُ نومِهِ لا يزيدُ في اليومِ والليلةِ على أربعِ ساعاتٍ)(٣).

وقالَ أيضاً: (لا يَستَحِقُّ الوصفَ بالعالمِ إلا مَن عملَ، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، فدلَّ

---

(١) (المستدرك، للحاكم) (٢/٥٧٤).

(٢) (حلية الأولياء، لأبي نعيم) (٦/٢٥٠).

(٣)من محاضرة (صفحات مشرقة في عبادات العلماء، للخضير).

على أنَّ أهلَ العلمِ المستحقينَ لهذا الوصفِ هم أهْلُ العمـــلِ، فالَّـــذِينَ لا يعملُونَ بالعلمِ، ليسُوا مِنْ أهلِ العلمِ)(١).

٤- مِن بيوتِ أهلِ العلمِ:

❖ آلُ قدامةَ

بيتٌ من البيوتَاتِ الشهيرةِ بالعلمِ، أخرجَ عدداً من أئمةِ الحنابلـــةِ والعلماءِ والقضاةِ والخطباءِ والمدرسينَ والمُفْتِينَ، وهمْ قُرَشِيُّونَ عَـــدَوِيُّونَ نسباً من سلالةِ عمرَ بنِ الخطابِ، مَقَادِسةٌ موطناً صـــالِحِيُّونَ دَمَاشِـــقَةٌ مُهَاجَراً مِن أكثرِ البيوتِ الحنبليةِ علماً، وفي (المقصدِ الأَرْشَدِ) ترجمةٌ لنحوِ خمسينَ عالماً منهُمْ، وقَدْ أفرَدَ عنهم الضياءُ المقدسيُّ كتاباً سَمَّـــاهُ (ســـبب هجرةِ المَقَادِسَةِ) وذلك لِمَا كانَ لَهُم من أثرٍ في ازدهـــارِ العلـــمِ عامـــةً والمذهبِ الحنبليِّ خاصةً، ونذكرُ منهم:

- **جدَّ آلِ قُدَامَةَ:** وهو خطيبُ جَمَّاعيل ببيتِ المقدسِ أحمدُ بـــنُ محمدِ بنِ قدامةَ بنِ مقدامِ بنِ نَصْرٍ (ت:٥٥٨). وكـــانَ مـــن العلمـــاءِ الصالحينَ، هاجرَ مِن جَمَّاعيل إلى الصالحيةِ بدمشقَ، فنزلَ وأهلُهُ بمســـجدِ أبي صالحٍ ثمَّ انتقلُوا إلى الجَبَلِ .

- **أبا عمرَ** محمدَ بنَ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ قدامةَ بنِ مقدامٍ المتوفَّى سنةَ (٥٥٨) وقد بنى المدرسةَ العُمَرِيَّةَ الشيخيةَ في الصالحيةِ بدمشق، وكانَ من أكثرِ العلماءِ إحياءً للسنةِ وإماتةً للبدعةِ، وقد وُلِدَ لهُ عبدُالله (وهو عـــالمٌ

(١) (من محاضرة: صفحات مشرقة في عبادات العلماء، للخضير).

فاضلٌ) وعبدُالرحمنِ وعمرُ، وبه كان يُكْنَى.

- **المُوَفَّقَ** عبدَالله بنَ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ قدامةَ بنِ مقدامٍ المتوفَّى سنةَ (٦٢٠) وقد ماتَ أولادُه الثلاثةُ في حياتِهِ، ولم يُعَقِّبْ من ولدِهِ سوى عيسَى (وكانَ من العلماءِ الأجلاءِ) خلَّفَ وَلَدَينِ وماتا، وانقطعَ عَقِبُه.

ومِن مصنفاتِ المُوَفَّقِ (المُغْنِي) و(روضةُ الناظرِ) و(لمعةُ الاعتقادِ) وغيرُها من الكتبِ النافعةِ.

ومِن هذه الأسرةِ المباركةِ ابنُ خالةِ الموفقِ، وهو عبدُالغنيِّ بنُ عبدِالواحدِ المقدسِيُّ صاحبُ (عمدةِ الأحكامِ) و(الكمالِ في أسماءِ الرجالِ) الذي هَذَّبَهُ المِزِّيُ في كتابه (تهذيبِ الكمالِ).

- **عبدَالرحمنِ** بنَ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ قدامةَ، ويُعْرَفُ بابنِ أبي عمرَ (ت:٦٨٢) وهو صاحبُ (الشرحِ الكبيرِ) وهو شرحٌ لكتابِ (المقنعِ) لعَمِّهِ المُوَفَّقِ ابنِ قدامةَ.

- **نجمَ الدينِ** أبا العباسِ أحمدَ بنَ عبدِالرحمنِ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ قدامةَ (ت:٦٨٩) وهو صاحبُ كتابِ (مختصرِ منهاجِ القاصدِينَ) وكان خطيباً ومدرساً وقاضياً.

وقد تفرَّعَ من بيتِ آلِ قدامةَ ثلاثةُ بيوتٍ من بيوتِ العلماءِ: بيتُ ابنِ عبدِالهادي، وبيتُ قاضِي الجبلِ، وبيتُ بني زُرَيقٍ.

❖ الألوسيون

أسرةٌ عراقيةٌ شريفةٌ، قد اشتهرَ منها مِن أهلِ العلمِ:

- **محمودُ شُكْرِي الأَلُوسِي**، أبو الثَّنَاءِ ، (ت:١٢٧٠) صاحبُ تفسيرِ (روحِ المعاني)، و(الأجوبةِ العراقيةِ)، ومَذْهَبُهُ مشوبٌ بينَ مذهبِ السَّلَفِ، والأَشْعَرِيَّةِ، والتَّفْوِيضِ، والتَّصَوُّفِ.

- **نعمانُ خيرُ الدينِ الأَلُوسِي**، (ت:١٣١٧)، وهو ابنُ أبي الثَّنَاءِ ، صاحبُ (جلاءِ العَينَينِ في محاكمةِ الأَحْمَدَينِ)، و(الجوابِ الفسيحِ على ما لفقه عبد المسيحِ)، وكان مشهوراً بالوعظِ، وهو سلفيُّ العقيدةِ.

- **محمودُ شُكْرِي بنُ عبدِالله بهاءِ الدينِ** بنِ أبي الثَّنَاءِ ، أبو المَعَالِي، (ت:١٣٤٢)، وهو حفيدُ أبي الثناءِ، وهو صاحبُ (غايةِ الأماني في الردِّ على النَّبْهَانِي)، و(صَبِّ العذابِ على من سبَّ الأصحابَ)، و(مسائلِ الجاهليةِ) وكان مستقيمَ المنهجِ.

❖ الغُمَارِيُّونَ:

الغُمَارِيُّ نسبةً إلى قبيلةِ غمَارَةَ، في شمالِ المغربِ، واشتهرَ بِها (٧) إخوةٌ اشْتَغَلُوا بالعلمِ، وهم:

- **أبو الفيضِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الصِّدِّيقِ الغُمَارِيُّ** (ت:١٣٨٠)، وهو أكبرُ إخوتِهِ سِنًّا، وعلماً، وقد تتلمَذُوا عليهِ، برزَ في كثيرٍ منَ العلومِ، وله مصنفاتٌ كثيرةٌ بَلَغَتْ (١٢٠) مصنَّفاً، كثيرٌ منها في الحديثِ، وقد صَحَّحَ أحاديثَ مشهورةَ الضَّعْفِ، أما عَقِيدَتُهُ فهو صُوفِيٌّ، قُبُورِيٌّ أَلَّفَ

(إحياءَ المقبورِ بأدلةِ بناءِ المساجدِ والقبابِ على القبورِ)، وهُو شِيعَيٌّ يَطْعنُ في مُعَاوِيَةَ، وأبيهِ، وعمرِو بنِ العاصِ، وغيرِهم، ويَطْعنُ في أئِمَّةِ أهلِ السُّنةِ، كابنِ تَيْمِيَّةَ، والذَّهَبِيِّ، وابنِ عبدِالوَهَّابِ، وَلَهُ طَامَّاتٌ، كالقولِ بوحـــدةِ الوجودِ، وإيمانِ فِرْعَونَ، وتَصَرُّفِ الأولياءِ في الكَونِ.

- **أبو الفضلِ عبدُالله** (ت: ١٤١٣)، برزَ في الفقهِ، والحـــديثِ، وله مصنفاتٌ كثيرةٌ، بلغتْ تسعةً وخمسين كتاباً منها:

(الإعلامُ بأنَّ التَّصَوُّفَ من شريعةِ الإسلامِ)

(إرغامُ المبتدعِ الغَبيِّ بجوازِ التوسلِ بالنَّبيِّ)

(استمدادُ العون في بيانِ كفرِ فِرْعَون) يَرُدُّ فيهِ على أخيهِ.

وله تحقيقاتٌ على عدةِ كتبٍ منها: (المقاصدُ الحسنةُ)، و(تَنْزِيــهُ الشَّرِيعَةِ).

وله ردودٌ على الشيخِ الأَلْبَانِيِّ رحمه الله.

- **عبدُالحَيِّ**، تَوَسَّعَ في علمِ الأصولِ، معَ المشاركةِ في غَيرِهِ.

- **عبدُالعزيز** (ت: ١٤١٨)، تَوَسَّعَ في معرفـــةِ الحـــديثِ، مـــع المشاركةِ في غيرِهِ من العلومِ.

- **الحسنُ**، وكانت له مشاركةٌ في سائرِ الفنونِ.

- **إبراهيمُ**، تَخَرَّجَ من دارِ الحـــديثِ الحَسَـــنِيِّةِ، ونـــالَ درجـــةَ الدُكْتُورَاه.

- **محمدٌ الزَّمْزَمِيُّ** (ت: ١٤٠٨)، وهو أَحْسَنُهُم، وإن كانت عليهِ بعضُ المؤاخذاتِ أيضاً، وقد أَعْلَنَ تَبَرُّأَهُ من بدعِ وضلالاتِ أسرتِهِ، وأَلَّفَ كتابَ (الزاويةِ ومَا فيها من البِدَعِ والأعمالِ المنكرةِ)، وقاطعَ إخوتَهُ، وعَمِلَ على نشرِ السُّنَّةِ في شمالِ المغربِ، له مصنفاتٌ منها:

(رسالةٌ في شرحِ لا إلهَ إلا اللّهُ)

(إعلامُ المسلمينَ بوجوبِ مقاطعةِ المبتدعينَ والفُجَّارِ والظَالِمِينَ) ردَّ فيهِ على أخيهِ عبدِاللهِ.

وكُلُّهُم يَجْمَعُهم التَّشيُّعُ، والتَّصَوُّفُ، ما عدا محمداً الزمزميَّ.

٥- فائدة:

❖ عقيدةُ بعضِ أئمَّةِ اللغةِ:

مِنَ اللُّغَوِيِّينَ الذينَ هُم عَلَى عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ :

١- الخليلُ بنُ أحمدَ الفَرَاهِيدِيُّ، صاحبُ كتابِ (العينِ).

٢- عمرُو بنُ عثمانَ، المعروفُ بِسِيبَوَيهِ.

٣- عليُّ بنُ حمزةَ الكِسَائِيُّ، صاحبُ كتابِ (معانِي القُرآنِ).

٤- الأَصْمَعِيُّ، صاحبُ كتابِ (الأضدادِ).

٥- القاسمُ بنُ سلامٍ الهَرَوِيُّ .

٦- إبراهيمُ بنُ عرفةَ، المشهورُ بِنِفْطَوَيه.

٧- أحمدُ الشَّيْبَانِيُّ، المشهورُ بِثَعْلَبٍ.

٨- إبراهيمُ بنُ إسحاق الحربِيُّ، صاحبُ (غريبِ الحديثِ).

٩- ابنُ قتيبةَ الدَّينُوريُّ.

١٠- الأَزْهَرِيُّ، صاحبُ (تهذيبِ اللغةِ).

١١- أبو جعفرٍ النَّحاسُ، صاحبُ (معانِي القُرآنِ).

١٢- أحمدُ بنُ فارسٍ، صاحبُ (معجمِ مقاييسِ اللغةِ).

١٣- بديعُ الزمانِ الهمذانيُّ، صاحبُ المقاماتِ [١].

ومنَ اللُّغَويينَ الذينَ هم على عقيدةِ المعتزلةِ:

١- قُطْرُبٌ، صاحبُ (المثلثِ).

٢- الأخفشُ الأوسطُ، صاحبُ (معاني القرآنِ).

٣- أبو عليٍّ الفارسيُّ، صاحبُ (الحجةِ للقُرَّاءِ السبعةِ).

٤- الصاحبُ بنُ عبَّادٍ، صاحبُ (المحيطِ في اللُّغَةِ).

٥- ابنُ جِنِّي، صاحبُ (الخصائصِ).

٦- الجوهريُّ، صاحبُ (الصحاحِ).

٧- أبو هلالٍ العَسْكَرِيُّ، صاحبُ (الفروقِ اللُّغَويةِ)[٢].

---

(١) (مناهج اللغويين في تقرير العقيدة، لمحمد الشيخ عليو) (ص١٥١ – ٤٤٣).

(٢) (مناهج اللغويين في تقرير العقيدة، لمحمد الشيخ عليو) (ص٤٥٥ – ٦٥٠).

سابعاً: إضاءات على أنواع العلوم

١- أنواعُ العلومِ:

❖ من ناحيةِ النفعِ:

قالَ ابنُ القَيِّمِ في بيانِ أنواعِ العلومِ: (نوعٌ تَكْمُلُ النَفْسُ بإدراكِهِ، والعِلمِ بهِ، وهو العلمُ باللهِ، وأسمائِهِ، وصفاتِهِ، وأفعالِهِ، وكتبِـــهِ، وأمـــرِهِ، ونهيِهِ.

ونوعٌ لا يحصلُ للنَّفْسِ به كمالٌ، وهو كلُّ علمٍ لا يَضُرُّ الجهلُ بهِ، فإنَّه لا ينفعُ العلمُ بها في الآخرةِ.

وكان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يستعيذُ باللهِ من علمٍ لا ينفـــعُ، وهذا حالُ أكثرِ العلومِ الصحيحةِ المطابقةِ التي لا يَضُرُّ الجهلُ بها شـــيئاً، كالعلمِ بالفَلَكِ، ودقائِقِهِ ودرجاتِهِ، وعددِ الكواكبِ ومقاديرِها، والعلـــمِ بعددِ الجبالِ، وألوانِهَا ومساحتِهَا، ونحوِ ذلك، فشرفُ العلمِ بحسبِ شرفِ معلومِهِ، وشِدَّةِ الحاجةِ إليهِ، وليسَ ذاك إلا العلمُ باللهِ وتوابعُ ذلك)[١].

وقالَ أيضاً: (فما أشدَّها مِن حسْرَةٍ، وما أعظمَهَا من غَبْنَةٍ علـــى من أفْنَى أوقاتَه في طلبِ العلمِ، ثمَّ يخرجُ مِنَ الدُّنيَا، ومـــا فَهِـــمَ حقـــائقَ القرآنِ، ولا بَاشرَ قلبَه أسرارُهُ ومعانِيه! فاللهُ المسْتَعانُ)[٢].

---

(١) (الفوائد، لابن القيم) (ص١٦٠).

(٢) (بدائع الفوائد، لابن القيم) (١/١٧٣).

❖ مِنْ ناحيةِ الغايةِ والوسيلةِ:

قالَ ابنُ خلدون:

(فأمَّا العلومُ التي هي مقاصدُ، فلا حَرَجَ في توسعةِ الكلامِ فيهَا، وتفريعِ المسائلِ، واستكشافِ الأدلةِ، والأَنْظَارِ، فإنَّ ذلك يزيدُ طالبَهَا تَمَكُّناً في ملكَتِهِ، وإيضاحاً لمعانيهَا المقصودةِ، وأمَّا العلومُ التي هي آلةٌ لغيرِهَا، مثلُ العربيةِ، والمَنْطِقِ، وأمثالِهِمَا؛ فلا يَنْبَغِي أَنْ يُنْظَرَ فيها إلا مِنْ حيثُ هيَ آلةٌ لذلكَ الغيرِ فقط، ولا يُوَسَّعُ فيهَا الكلامُ، ولا تُفَرَّعُ المسائلُ؛ لأنَّ ذلك يخرُجُ بها عن المقصودِ؛ إذِ المقصودُ منها ما هي آلةٌ لَهُ، لا غيرُ، فكُلَّمَا خرجَتْ عنْ ذلك؛ خرجَتْ عن المقصودِ، وصارَ الاشتغالُ بها لَغْواً، معَ ما فيهِ مِن صعوبةِ الحصولِ على ملكتِهَا، بطولِهَا، وكثرةِ فروعِهَا، وربَّمَا يكونُ ذلك عائِقاً عنْ تحصيلِ العلومِ المقصودةِ بالذَّاتِ؛ لطولِ وسائِلِهَا، مع أنَّ شأنَهَا أَهمُّ، والعمرُ يَقْصُرُ عن تحصيلِ الجميعِ على هذه الصورةِ، فيكونُ الاشتغالُ بهذه العلومِ الآليةِ تضييعاً للعمرِ، وشُغلاً بما لا يُغْنِي)[1].

و(العلومُ المساعدةُ، أو مَا يُسَمِّيهِ بعضُ أهلُ العِلْمِ بعلومِ الآلةِ، كاللُّغَةِ العربيةِ، والبلاغةِ، والأصولِ، والمصطلحِ، وعلومِ القرآنِ، يُطلَبُ منها ما يُحَقِّقُ المقصودَ الأصليَّ، وهو القيامُ بعبادةِ الله تعالَى، التي خُلِقْنَا من أجلِهَا، وإلا دخلَ ذلك في بابِ التَّرَفِ العِلْمِيِّ، والله أعلمُ. فلا يُطلَبُ من طالبِ علمِ النَّحْوِ، أنْ يكونَ كسِيبَوَيهِ، و من طالبِ اللُّغَةِ،

(١) (مقدمة ابن خلدون) (١/٦٢٢).

أن يكونَ كالخليلِ، والأَزهــريِّ، ومــن طالــبِ البلاغــةِ، أن يكــونَ كالجُرْجَانيِّ، يَكْفِيهِ من كلِّ ذلك ما يحتاجُهُ لفَهْمِ القرآنِ والسُّنَّةِ، والقيامِ بما أوجَبَهُ اللهُ عليهِ مِن عبادَتِهِ)[١].

٢- أهميةُ التَّخَصُّصِ في فِنٍّ مُعَيَّنٍ:

قالَ الخليلُ بنُ أحمدَ الفَرَاهِيدِيُّ: (إذا أردْتَ أنْ تكونَ عالماً فاقصدْ لفَنٍّ مِن العلمِ، وإنْ أردتَ أن تكونَ أديباً فخذْ منْ كُلِّ شيءٍ أحْسَنَهُ)[٢].

قالَ أبو عبيدٍ القاسمُ بنُ سلامٍ: (ما نَاظَرَني رجلٌ قطُّ، وكانَ مفنَّناً في العلومِ إلا غَلَبْتُهُ، ولا نَاظَرَني رجلٌ ذو فَنٍّ واحدٍ إلا غَلَبَني في علمِــهِ ذلكَ)[٣].

وذلك لأنَّ (للعلمِ دقائقَ لا يعرفُ المُتَفَنِّنُونَ عنــها شــيئاً، أمــا المُتَخَصِّصُونَ فقد خَبَرُوهَا، وقادَتْهُم إلى دقائِقِ الدقائِقِ، فَهُم فقهاءُ العلومِ حقاً، وأَطِبَّاءُ الفُنُونِ صدقاً.

قالَ الحسنُ بنُ محمدٍ الصباحُ الزَعْفَرَانيُّ تلميذُ الشَّافعيِّ: سمعــتُ الشَّافعيَّ يقولُ: من تعلَّمَ علماً فَلْيُدَقِقْ، لكيلا يَضِيعَ دقيقُ العلمِ)[٤].

---

(١) (التأصيل في طلب العلم، لبازمول).

(٢) (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر) (١/٥٢٢).

(٣) (المصدر السابق) (١/٥٢٣).

(٤) (نصائح منهجية، لحاتم العوني، بتصرف) (ص٣٥).

ثامناً: إضاءات على التصنيف والتحقيق

١- التصنيفُ:

❖ عُلُوُّ الهمةِ في التصنيفِ:

قالَ أبو عبيدٍ عن كتابه غريبِ الحديث: (مكثتُ في تصنيفِ هذا الكتابِ أربعينَ سنةً، وربما كنتُ أستفيدُ الفائدةَ مِن أفواهِ الرجالِ، فأضعُهَا في الكتابِ، فأبيتُ ساهراً فَرَحاً مِنِّي بتلكَ الفائدةِ، وأحدُكم يجيئُني، فيُقيمُ عندِي أربعةَ أشهرٍ، خمسةَ أشهرٍ، فيقولُ: قدْ أقمتُ الكثيرَ)[1].

وهذا الإمامُ محمدُ بنُ جريرٍ الطبريُّ (قالَ رحمَه اللهُ لأصحابِه: هل تَنْشَطُونَ لتاريخِ العَالَمِ منْ آدمَ إلى وقتِنَا؟ قالُوا: كمْ قَدْرُهُ؟ فذكرَ نَحْوَ ثلاثينَ ألفَ ورقةٍ. فقالُوا: هذا مما تَفْنَى الأعمارُ قبلَ تمامِه. فقالَ: إنَّا للهِ... ماتتِ الهِمَمُ. فاختصرَ ذلك في نَحْوِ ثلاثةِ آلافِ ورقةٍ. ولَمَّا أَنْ أرادَ أن يمليَ التفسيرَ قالَ لَهُم نحواً منْ ذلكَ، ثُمَّ أملاه على نحوٍ منْ قدرِ التاريخِ)[2].

وهذا شيخُ الإسلامِ ابن تَيمِيَّةَ لم يمنعْه السجنُ مِن التأليفِ، قالَ تلميذُه الحافظُ عمرُ البزارُ: (ومنْ أعجبِ الأشياءِ في ذلكَ أنَّه في محنتِهِ الأولَى بمصرَ، لَمَّا أُخِذَ وسُجِنَ، وحِيلَ بينَه وبينَ كُتُبِه، صنَّفَ عدةَ كتبٍ صغاراً

---

(١) (تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي) (٤٠٧/١٢).

(٢) (سير أعلام النبلاء، للذهبي) (٢٧٤/١٤، ٢٧٥).

وكباراً، وذَكَرَ فيهَا ما احتاجَ إلى ذكرِهِ من الأحاديثِ والآثارِ، وأقـــوالِ العلماءِ، وأسماءِ المحدثينَ والمؤلفينَ ومؤلفاتِهِم، وعزا كلَّ شيءٍ مِنْ ذلكَ إلى ناقِليه وقائِلِيهِ بأسمائِهِم، وذكرَ أسماءَ الكتبِ التي ذكرَ فيهَا، وأيَّ موضعٍ هو منهَا؛ كلُّ ذلك بديهةً مِن حفظِهِ؛ لأنَّه لم يكنْ عندَه حينَئِذٍ كتابٌ يطالِعُه. ونُقِّبَتْ واختُبِرَتْ واعتُبِرَتْ؛ فلم يوجدْ فيها بحمدِ اللهِ خللٌ ولا تغيرٌ، ومِن جملتِها كتابُ الصارمِ المسلولِ على شاتمِ الرسولِ)[١].

و(لقد أفنَى ابنُ القيِّمِ حياتَه متقلباً في أعطافِ العلمِ، في حلِّه وترحالِه، في سفرِه وإقامتِه، ...لم يشغَلْهُ شيءٌ مِن ذلك عن التأليفِ والنظرِ، فابنُ القيِّمِ وإن سافرَ لا يحملُ إلا زاداً ومزادةً، فمكتبتُه في صدرِهِ، ويكفي في هذا أنَّه ألَّفَ جملةً من كتبِهِ في حالِ سفرِهِ عن وطنِهِ وبعدِهِ عن مكتبتِهِ، وهي: مفتاحُ دارِ السعادةِ – روضةُ المحبينَ – زادُ المعادِ – بدائعُ الفوائدِ – تهذيبُ سننِ أبي داودَ)[٢].

❖ حولَ منهجِ التأليفِ:

(إن بعضَ الكتاباتِ الإسلاميةِ تميلُ إلى التَّنْظِيرِ الثقـــافيِّ، ولا يَـــتِمُّ تنزيلُهَا على أرضِ الواقعِ الذي تعيشُهُ الأُمَّةُ، فهناك فجوةٌ، عميقةٌ، فسيحةٌ بين الهمِّ الثقافيِّ، والمعاناةِ اليوميةِ التي تعيشُهَا الأُمَّةُ الإسلاميةُ، وإن التجريدَ والإغراقَ في التَنْظِيرِ، وتحويلَ الكتابةِ إلى متعةٍ ثقافيةٍ، أو أطروحاتٍ فنيةٍ، لا يخدمُ الدعوةَ الإسلاميةَ بحالٍ، فما لم تتحولِ الأطروحاتُ الثقافيـــةُ إلى

(١) (الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، لعمر البزار) (ص٢٢).

(٢) (صلاح الأمة في علو الهمة، لسيد العفاني) (٥١٦/١).

مشروعاتِ عملٍ، وإنجازاتٍ مُشاهدةٍ ملموسةٍ؛ فإنها تبقَى كلماتٍ باردةً، لا حياةَ فيها.

إن الكتابةَ الإسلاميةَ ليست صنعَةً يتكسبُ بها المــرءُ، أو هوايــةً يَشْغَلُ بها وقتَهُ، وإنما هي إحساسٌ بالمسؤوليةِ، يَنْبِضُ بمشــكلاتِ الأُمَّــةِ، واحتياجاتِهَا)[١].

(إنَّ المنهجَ العلميَّ يقتضِي عرضَ الأقوالِ، والحُجَجِ، بأمانةٍ كاملةٍ، ثم يرجَّحُ بناءً على القواعدِ العلميةِ المتبعةِ، عند علماءِ الأمَّةِ؛ للترجيحِ بينَ الأقوالِ، قالَ ابنُ تَيْمِيَّةَ: (يجبُ أن يكونَ الخطابُ، في المسائلِ المشــكلةِ، بطريقِ ذكرِ دليلِ كُلِّ قولٍ، ومعارضةِ الآخرِ لهُ، حتى يتبيَّنَ الحقُّ بطريقِهِ، لمن يريدُ اللهُ هدايتَهُ) [٢].

❖ أغراضُ التأليفِ:

قالَ حاجِي خليفة: (ثُمَّ إنَّ التأليفَ على سبعةِ أقسامٍ، لا يُؤَلِّــفُ عالمٌ عاقلٌ إلا فيهَا، وهي: إمَّا شيءٌ لم يُسبَقْ إليهِ فَيَخْتَرِعُهُ، أو شيءٌ ناقصٌ يُتَمِّمُهُ، أو شيءٌ مُغلَقٌ يشرحُهُ، أو شيءٌ طويلٌ يختصرُهُ دونَ أن يخِلَّ بشيءٍ من معانيهِ، أو شيءٌ متفرقٌ يجمعُهُ، أو شيءٌ مختلطٌ يرتِّبُهُ، أو شيءٌ أخطــأَ فيهِ مصنفُهُ فيُصْلِحُهُ)[٣].

---

(١) (الكتاب الإسلامي، لأحمد الصويان) (٧٢).
(٢) (الكتاب الإسلامي، لأحمد الصويان) (ص٥٨).
(٣) (كشف الظنون، لحاجي خليفة) (١/٣٥).

قالَ الإمامُ النوويُّ في بيانِ آدابِ التأليفِ: (وينبغي أن يكونَ اعتناؤُه منَ التصنيفِ بما لم يُسبَقْ إليهِ أكثرَ، والمرادُ بهذا ألا يكونَ هناكَ مصنَّفٌ يُغني عن مصنَّفِهِ في جميعِ أساليبِهِ، فإنْ أغنى عن بعضِهَا، فليصنِّفْ من جنسِهِ ما يزيدُ زياداتٍ، يحتفلُ بِهَا مع ضمِّ ما فاتَهُ من الأساليبِ)[١].

❖ قالَ الزركشيُّ:

(فائدةٌ:

كانَ بعضُ المشايخِ يقولُ: العلومُ ثلاثةٌ؛ علمٌ نضجَ وما احترَقَ، وهو علمُ الأصولِ والنَّحوِ، وعلمٌ لا نضجَ ولا احترَقَ، وهو علمُ البيانِ والتفسيرِ، وعلمٌ نضجَ واحترَقَ، وهو علمُ الفقهِ والحديثِ.

وكانَ الشيخُ صدرُ الدِّينِ بنُ المرحلِ رحمَهُ اللهُ يقولُ: ينبغي للإنسانِ أن يكونَ في الفقهِ قيِّماً، وفي الأصولِ راجِحاً، وفي بَقِيَّةِ العلومِ مُشَارِكاً.

وقالَ صاحبُ الأَحوذِيِّ: ولا ينبغِي لحصيفٍ أن يتصدَّى إلى تصنيفٍ أن يَعْدِلَ عن غرضَينِ إما أَنْ يخترِعَ مَعْنىً، وإما أن يبتَدِعَ وضعاً ومبنىً، وما سوى هَذَينِ الوجهينِ فهو تسويدُ الورقِ، والتَّحَلِّي بحليةِ السَّرَقِ)[٢].

---

(١) (المجموع، للنووي) (١/٣٠).

(٢) (المنثور في القواعد، للزركشي) (١/٧٢).

٢- تنبيهاتُ ومحاذيرُ تتعلقُ بالتحقيقِ:

❖ مجافاةُ بعضِ كتبِ التراثِ المنشورةِ لمقتضياتِ التحقيقِ:

(تُقَلِّبُ النظرَ في بعضِ ما يُنشرُ من كتبِ التراثِ، فتجدُ فيها مجافاةً صريحةً لما يَتَطَلَّبُهُ التحقيقُ بحسبِ أصولِهِ المعروفةِ، حيثُ تبحثُ عن نسخِ الكتابِ الخَطِيَّةِ فتجدُ الاعتمادَ على نُسَخٍ سقيمةٍ مع وجودِ ما هو أفضلُ منها، وقد لا تجدُ تنويهاً بالنُّسَخِ، أو تعريفاً بها، وتبحثُ عن إثباتِ الفروقِ بين النُّسَخِ فلا تكادُ تجدُ شيئاً، وتبحثُ عن الضبطِ بالشكلِ فتجدُ الإهمالَ الواضحَ، وتبحثُ عن التصحيحِ والتصويبِ فيقابلُكَ ما يُعَكِّرُ صفوَكَ من التصحيفاتِ والتحريفاتِ، والتسرعِ في إكمالِ السقطِ، والخرمِ الموجودِ في النسخةِ على غيرِ أساسٍ علميٍّ يتلاءمُ معَ النصِّ مما يَنُمُّ عن جهلٍ فاضحٍ بأصولِ التحقيقِ وأساليبِ اللغةِ العربيةِ، وتبحثُ عن تخريجِ النصوصِ فتفاجأُ بالتغاضِي عن الكثيرِ، والقصورِ الواضحِ الذي لا يشفِي الغليلَ، وتبحثُ عن الفهارسِ فلا تقفُ في بعضِ الأحيانِ على شيءٍ، وإن وجدَ فقد لا يكونُ سوى فهرسِ الموضوعاتِ، ومع ذلك تجابهُكَ الجرأةُ بكتابةِ تحقيقِ فلانِ بنِ فلانٍ على غلافِ الكتابِ، وليسَ فيهِ من التحقيقِ سوَى حروفِ هذه الكلمةِ ورسْمِهَا)[1].

❖ الإحالةُ إلى الفرعِ دونَ الأصلِ:

(يعمدُ المحقِّقُ إلى توثيقِ النصوصِ الواردةِ في الكتابِ من كتبِهِ هو ويتركُ الكتبَ الأصولَ التي أخرجَتْ هذا النصَّ، والأصلُ أن يتكلمَ عن

---

(١) (تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، لعبد الله بن عسيلان) (ص٧٦).

هذا النصِّ في موضعِهِ من هذا الكتاب، فقد لا يتيسَّرُ الوقوفُ على كتابِهِ الآخرِ، هذا إنْ كانَ ما أحالَ إليهِ كتاباً مطبوعاً، أو موجـــوداً فعليًّـــا، لا ذهنيًّا)[١].

❖ إثقالُ الكتبِ بالحواشِي:

(يُسرِفُ بعضُ المحققينَ في التعليقاتِ والحواشِي والنقولِ التي يُثقلُ بها كاهلَ النصِّ المُحَقَّقِ حتى تطغَى عليهِ بحيثُ نجدُ في بعـــضِ النصـــوصِ المحققةِ سطراً واحداً من النصِّ في أعلى الصـــفحةِ، والبـــاقي للتعليقـــاتِ والحواشِي، وأحياناً يتحولُ هذا السطرُ إلى مجرَّدِ نقطٍ يفصلُهَا خطٌ تحتَـــهُ تعليقٌ يستغرقُ صفحاتٍ عديدةً حولَ نقطةٍ واحدةٍ، وكثيرٌ مـــن هـــذه التعليقاتِ والحواشِي يُتَزَيَّدُ فيها بشكلٍ لا تدعو الحاجةُ أو الضرورةُ إليهِ، وربما كانت مجردَ نقلٍ من المصادرِ رغبةً في الاستكثارِ، والتظاهرِ بســـعةِ الاطلاعِ). [٢].

❖ المشاغبةُ في التعليقِ والتعقيبِ:

(يأتي الباحثُ فيعلِّقُ على كلامِ أحدِ العلماءِ، أو يتعقبُهُ فيأتِي بجملةٍ اعتراضيةٍ، خارجةٍ عن أدبِ الحوارِ العلميِّ، وليسَ فيها فائدةٌ، فالكتـــبُ العلميةُ، وكذلك التحقيقُ العلميُّ، ينبغي أن تَتَّسِمَ بالجديَّةِ، والبعدِ عـــن الأساليبِ الصحفيةِ، والمهاتراتِ الكلاميةِ، فيجبُ على المُؤَلِّفِ، أو المحققِ أن يصبَّ جهدَهُ في الموضوعِ الذي يَتَوَلاهُ، ويحاولَ قدرَ استطاعتِهِ، تقليلَ

---

(١) (مزالق في التحقيق، للشمراني).

(٢)(تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، لعبد الله بن عسيلان) (ص٦٥).

التساؤلاتِ وعلاماتِ التعجبِ، والكلامِ غيرِ العلميِّ، الـذي لا يخـدمُ البحثَ، دونَ التعرضِ لشخصِ المصنِّفِ)[١].

❖ عدمُ الاهتمامِ بمخطوطاتِ الكتابِ:

(يقتصرُ البعضُ على إعادةِ طبعِ كتابٍ كانَ قد طُبِعَ قـديماً دونَ تحقيقِهِ على نُسَخٍ أخرى، أو البحثُ عن النسخةِ التي طُبِعَ عليها إذا أمكنَ التعرفُ عليها؛ لأنَّ الكتبَ التي طُبِعَتْ قديماً لا تشيرُ إلى المخطوطاتِ التي طُبِعَتْ عليهَا غالباً. ومع ذلك نجدُ الكتابَ في طبعةٍ جديدةٍ يحملُ عبـارةَ حقَّقَهُ فلانٌ، أو لجنةٌ من العلماءِ، وتبحثُ عن شيءٍ من مظاهرِ التحقيـقِ فلا تجدُ إلا ما يجدُهُ الظمآنُ الذي ينتظرُ السرابَ)[٢].

❖ عدمُ ثقةِ المحققِ في عملِهِ:

(فيطلبُ من أحدِ المشهورينَ، التقديمَ لعملِهِ، ووَضْعَ اسمَهُ بخطٍ بارزٍ على غلافِ الكتابِ، مُقَدِّماً أو مشرفاً، وقبلَ اسمِ المحققِ، بغرضِ تـرويجِ الكتابِ، وتسويقِهِ مثلُ المتاجرةِ بالأسماءِ العلميةِ، فيحققُ أحدُ الناسِ كتاباً، ولكي يَرُوجَ يحاولُ التقديمَ للعلماءِ المشهورينَ؛ رغبـةً منـهم في نشْـرِ الكتابِ)[٣].

ولكن قد يكونُ التقديمُ للكتابِ مطلوباً، لاسيما إذا كان الموضوعُ مِن الموضوعاتِ العقديةِ التي يكونُ التقديمُ لها مِن أحدِ علماءِ أهلِ السـنةِ

---

(١) (مزالق في التحقيق، للشمراني).

(٢)(تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، لعبد الله بن عسيلان) (ص٧١).

(٣) (مزالق في التحقيق، للشمراني).

دليلاً- في الغالبِ- على سلامةِ منهجِ مؤلفِها وعقيدتِه.

❖ المتاجرةُ بعناوينَ جديدةٍ للكتبِ:

(انتزاعُ بعضِ الأبوابِ من الكتبِ المنشورةِ والمشـهورةِ لمـؤلفينَ بارزينَ وتحقيقُهُ ونشرُهُ باسمِ البَابِ الذي جاءَ بِهِ، أو بوضعِ اسمٍ يتناسبُ مع المادةِ المتنوعةِ منَ الكتابِ، ورأيتُ شيئاً من ذلك في أبوابٍ انتُزعتْ من العقدِ الفريدِ لابنِ عبدِ ربِّهِ، ومنْ إغاثةِ اللهفانِ لابنِ القَيِّمِ، ومنْ الأشـباهِ والنظائرِ لجلالِ الدِّينِ السيوطيِّ في النحوِ، ومن إحياءِ علومِ الدِّينِ للغزالِي، ومن بعضِ كتبِ الأحاديثِ وغيرِهَا، وبعضُ من يَعْمدُونَ إلى مثلِ هـذا الصنيعِ لا يُشيرونَ إلى أنَّه منتزَعٌ من الكتابِ الفلانيِّ؛ بلْ رُبَّمَا زادَ بعضُهُم في الإيهامِ بذكرِ مخطوطٍ للكتابِ الذي انتزعَ منهُ البابَ، أو الاقتصارِ منها على القدرِ المُنْتَزَعِ، مما قد يوهِمُ أن المنشـورَ كتـابٌ آخـرُ أو جديـدٌ للمؤلفِ)[1].

٣- أسبابُ إعادةِ تحقيقِ كتابٍ سبقَ تحقيقُه:

ولابدَّ هنا من الإشارةِ إلى أمورٍ توضعُ في الحسبانِ عندَ الرغبةِ في إعادةِ تحقيقِ كتابٍ سبقَ نشرُهُ وتحقيقُهُ وهي:

(أ) أن يكونَ المخطوطُ قد نُشِرَ دونَ أيَّةِ مراعاةٍ لأصولِ التحقيقِ، وقواعدِهِ المعروفةِ.

(ب) أن يكونَ الكتابُ قد نُشِرَ على مخطوطةٍ واحدةٍ سقيمةٍ، أو

---

(١) (تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، لعبد الله بن عسيلان) (ص٦٥).

أكثرَ مِن مخطوطةٍ بهذه الحالةِ، مع وجودِ مخطوطاتٍ أُخَرَ نفيسةٍ للكتابِ، ولكنها أُهمِلَتْ، و لم تُوضعْ في الحُسبانِ.

(ج) أن يكونَ الكتابُ قد نُشِرَ على مخطوطةٍ واحدةٍ بوصفِهَا نسخةً وحيدةً حسبَ علمِ المُحَقِّقِ، ثمَّ ظهَرتْ للكتابِ نسخةٌ أخرَى موثَّقَةٌ، وفيها إضافاتٌ، وزياداتٌ، وتصحيحاتٌ، وفروقٌ تُفِيدُ في تَقويمِ نصوصِ الكتابِ وتحريرِهَا.

(د) أن يكونَ المُحَقِّقُ السابقُ قد وَقَعَ في أوهامٍ تُؤدِّي إلى الخلطِ في عنوانِ الكتابِ وصحةِ نسبتِهِ إلى مؤلفِهِ، فيأتي الكتابُ بغيرِ اسمِهِ الذي وُضِعَ لهُ، أو منسوباً إلى غيرِ مؤلفِه، مع الأوهامِ الكثيرةِ في التعليقاتِ والتصحيحاتِ مما يُؤدِّي إلى تشويهِ النصِّ، ثمَّ يأتي المحققُ اللاحقُ ليُقَوِّمَ ذلك كلَّهُ، ويأتِي بهِ على الوجهِ الصحيحِ.

(هـ) أن يكونَ المحققُ السابقُ ممنْ يتصرفُ في صُلْبِ الكتابِ بالإضافاتِ، أو النقصِ أو التغييرِ والتبديلِ على غيرِ أساسٍ، كأن يُضِيفَ عباراتٍ وكلماتٍ مِن عندِه في صُلْبِ الكتابِ، لا مبرِّرَ لَهَا، أو يحذفَ منهُ نصوصاً لأغراضٍ في نفسِهِ أو يُخلَّ بترتيبِ أبوابِ الكتابِ على خلافِ ما جاءَتْ عليهِ عندَ المؤلفِ.

(ز) أن تَشِيعَ في جهدِ السابقِ التصحيفاتُ والتحريفاتُ التي تطمسُ معالمَ النصِّ، وتَستَوجِبُ إعادةَ تحقيقِهِ، إلى جانبِ إهمالِ مقدمةِ التحقيقِ(١).

---

(١)(تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، لعبد الله بن عسيلان) (ص٧٣).

٤- من أَئِمَّةِ المحققِينَ:

(من العلماءِ والمحققينَ الذين أخرجُوا للنَّاسِ الكتبَ، ونشرُوا فيهم آثارَ السَّلفِ، في الحديثِ، واللُّغَةِ، والفقهِ، والتاريخِ، والأدبِ، وغيرِ ذلك من فنونِ الإسلامِ، ولا يمتري أحدٌ في أنَّ ما أَخْرَجَ هؤلاءِ أَصَحُّ نصًّا:

- **الشيخُ محمَّدٌ الحسينيُّ**: وهو وحدهُ الذي أخرجَ كتابَ (لسانِ العربِ) بأجزائِهِ العشرينَ.

- **الشيخُ محمَّدٌ الزهريُّ الغمراويُّ**: وهو الذي أخرجَ كتابَ (إتحافِ السادةِ المتقينَ في شرحِ إحياءِ علومِ الدِّينِ) وهو في عشرِ مجلداتٍ كبارٍ، وهو وحدهُ الذي أخرجَ (مسندَ الإمامِ أحمدَ) بأجزائِهِ الستةِ المعروفةِ.

- **الشيخُ إبراهيمُ الدسوقيُّ**: أخرجَ وحدَهُ (إرشادَ الساري شرحَ صحيحِ البخاريِّ) للقَسْطَلانيِّ بأجزائِهِ العشرةِ.

وكانَ في مصرَ - مثلاً - المشايخُ: محمَّدٌ العدويُّ، وطَهَ محمود، ونصر الهُورِيني، وإبراهيمُ الفيومِيُّ، ومحمَّدٌ البلبيسيُّ، وسيدُ بنُ عليٍّ المرصفيُّ، وكانَ في العراقِ ممن قامَ على نشرِ كتبِ السَّلفِ وعلومِهم، الشيخُ محمود شكري الألوسي، وفي الشَّامِ الشيخُ محمَّد جمال الدَّينِ القاسميُّ.

وكانَ من أولئكَ العلماءِ المتقدمينَ مَن وَضَعَ مدرسةً تُعَلِّمُ أصولَ النَّشْرِ، كما فعلَ الشيخُ سَيِّدُ بنُ عليٍّ المرصفيُّ المصريُّ، فإنَّه تخرَّجَ لديهِ في

النشرِ والتحقيقِ ثلةٌ مِن كبارِ العلماءِ، منهم الشيخُ أحمدُ شَاكِر، وأخـوه الشيخُ محمود شاكر، والشيخُ محمَّد محيي الدينِ عبد الحميدِ فـرحمَهُمُ اللهُ أجمعينَ)[١].

ومِن المحقِّقينَ الكبار أيضاً مِن مصرَ: عبدُالسلام هارونَ، والسـيِّدُ أحمد صقر وعائشةُ بنتُ الشَّاطئ ومحمودٌ الطَّناحِيُّ وعبدُالفتَّاح الحلو، ومِن سُوريا: محمَّد كرد علي وعزُّ الدينِ التنوخيُّ، ومِن العراقِ محمـدُ بهجـة الأثريُّ ومصطفَى جواد، ومِن المملكةِ العربيةِ السعوديةِ حمدُ الجاسر، ومِن الجزائرِ محمدُ بنُ أبي شنب، ومِن تونسَ حسن حسني عبد الوهابِ، ومِن المغربِ الأقصَى عبدُالحيِّ الكتانيُّ.

٥- فائدةٌ:

❖ **الفرقُ بينَ التأليفِ والتصنيفِ:** أن التأليفَ أعمُّ مـن التصـنيفِ وذلك أنَّ التصنيفَ تأليفُ صِنْفٍ من العلمِ ولا يقالُ للكتـابِ إذا تضمَّنَ نقضَ شيءٍ من الكلامِ مُصَنَّفٌ؛ لأنَّهُ جمَعَ الشيءَ وضـدَّهُ، والقولَ ونقيضَهُ، والتأليفُ يجمعُ ذلكَ كلَّهُ)[٢].

---

(١) (كيف يبني طالب العلم مكتبته، للخضير، بتصرف).

(٢) (الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري) (ص٢٤٠).

تاسعاً: إضاءات على التعليم

١-التَّعْلِيمُ بَيْنَ الأمْسِ واليَوْمِ:

(وازنْ - رَعاك اللهُ - بينَ الدراسةِ التي أثْمَرَتْها تلك الرحلاتُ، التي عَرَكتِ الطلابَ الراحلين عركاً طويلاً، وبينَ دراسةِ طــلابِ جامعاتِنــا اليومَ! يدْرُسون فيها أربعَ سنواتٍ، لا حضورٌ ولا سماعٌ، ولا مناقشةٌ ولا اقتناعٌ، ولا تطاعمٌ في الأخلاقِ، ولا تأسِّي، ولا تصحيحٌ لأخطائِهم، ولا تصويبٌ، ولا تشذيبٌ لمسالِكهم، ويتسقَّطون المباحثَ المظنونةَ الســؤالِ، مِن مقرراتِهم (المختصرة) ثم يَسْعَون إلى تلخــيصِ تلــك المقــرراتِ، ثم يَسْعَوْن إلى إسقاطِ البحوثِ غير الهامةِ مِنَ المقروءاتِ، بِتَلطُّفهم وتَمَلُّقِهـــم لبعْضِ الأَساتِذَةِ، فيجدون ما يَسُرُّهم، وإن كــان يضُــرُّهم، وبــذلك يفرحون، وبعد ذلك يتعالَون بضخامةِ الألْقابِ، مــعَ فــراغِ الوطــابِ، ويُجهِّلون العلماءَ الأصلاءَ، بآرائِهم الهشَّةِ البَتْرَاءِ، ولم يقعدوا مقاعــدَهم، ولم يتذوَّقوا بصارةَ التحصيلِ عندَ القدماءِ! ولكنَّهم عندَ أنفسِهم أعلمُ مِن السابقين!

ويَشْهدُ الُمراقِبُ لِلْحالِ العِلميَّةِ اليومَ كثرةً متزايدةً في الجــامِعيِّين، وفقــراً متزايداً في العِلْمِ وأهْلِه، ونقصاً كبيراً مشهوداً في العملِ بــالْعِلمِ، وهــذه مصيبةٌ مِن أدْهَى المصائِبِ، واللهُ المرجوُّ أن يُلْهِمَ المنوطَ بهم أمورُ التعلــيمِ

في البلادِ الإسلاميةِ، أن يتبَصَّروا بالأَمْرِ، ويتداركُوا هذا الخطَرَ، قبلَ تأَصُّلِه وإزمانِه، واستفحالِ آثارِهِ)[١].

٢- آدَابُ المُعَلِّمِ:

❖ مِنْ آدَابِ المُعَلِّمِ:

- الشَّفقةُ على المُتَعَلِّمين.
- أنْ لا يَطْلُبَ على إفادةِ العِلمِ أجراً.
- لا يَدَعُ من نُصح المتعلِّم شيئاً.
- أنْ يَزْجُرَ المُتَعلِّمَ عن سوءِ الأَخلاقِ، بطريقِ التَّعريضِ ما أمْكَن، ولا يُصَرِّحَ .
- أنْ لا يُقبِّحَ في نفسِ المتعلِّم العُلُومَ الأُخْرَى، الَّتي لا يُدَرِّسُها هو له.
- أنْ يَقْتَصِرَ بالمتعَلِّمِ على قَدْرِ فَهْمِهِ.
- أنْ يكونَ المعلِّمُ عاملاً بعِلْمِه، فلا يُكذِّبُ قولَه فعلُه)[٢].

❖ تَوَفُّرُ الأَهْلِيَّةِ:

على المدرِّسِ (أنْ لا يَنْتَصِبَ للتَّدْريسِ إذا لَمْ يَكُنْ أهلاً لــه، ولا يَذْكُرَ الدَّرْسَ مِنْ عِلْمٍ لا يَعْرِفُهُ ... قال النبي صــلى الله عليــه وســلم: (المتشبِّعُ بما لم يُعطَ، كَلابسِ ثَوْبَيْ زُوْرٍ)[٣].

---

(١) (صفحات من صبر العلماء، لأبي غدة، بتصرف) (ص١٠٩،١١٠).

(٢) (أبجد العلوم، لصديق حسن خان، بتصرف) (١/١٢٧ - ١٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥١١٩) ومسلم (٢١٣٠) .

وعن الشبليِّ: مَنْ تَصدَّرَ قبلَ أوَانه، فقدْ تصدَّى لهوانه.

وعن أبي حنيفةَ: مَنْ طَلب الرِّيَاسَةَ في غَيْرِ حِينه، لَمْ يَزلْ في ذُلٍّ مــا بَقِي)[1].

❖ عَدَمُ القَوْلِ عَلَى اللهِ بِلاَ عِلْمٍ:

(عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنـــهما: إذاَ أخْطَــأ العَــالِمُ لا أدْرِي، أُصِيبتْ مَقَاتِلُهُ.

وقيل: ينبغي لِلْعَالِمِ أنْ يُورِثَ أصْحَابَه لا أدْري؛ لِكَثْرةِ ما يَقُولُها.

وقال محمدُ بنُ عبدِالحَكَمِ: سألتُ الشافعيَّ رضي الله عنـــه عـــن الْمُتْعةِ، أكان فيها طلاقٌ، أو ميراثٌ، أو نفقةٌ تجِبُ، أو شهادةٌ؟ فقال: واللهِ ما نَدْرِي.

وَاعْلَمْ أنَّ قولَ المسؤولِ لا أدْرِي، لا يَضَعُ مِن قَدْره، كما يَظُنُّـــه بعـــضُ الْجَهَلَةِ، بل يَرفعُه؛ لأنَّه دليلٌ عظيمٌ على عِظَمِ محلِّه، وقوةِ دِينِه، وتَقْـــوَى ربِّه، وطهارةِ قَلْبِه، وكمالِ معرفتِه، وحُسْنِ تثبُّتِه)[2].

(قال الهَيْثَمُ بنُ جميلٍ: سَمِعتُ مالكاً، سُئِلَ عن ثمـــانٍ وأربعـــين مسألةً، فقال في اثنتينِ وثلاثينَ منها: لا أدْرِي.

وعن خالدِ بن خداشٍ، قال: قدِمْتُ على مالكٍ بأربعينَ مســـألةً، فما أجابَني منها إلا في خَمْسِ مَسَائِلَ)[1].

---

(١) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة، بتصرف) (ص ٤٥).

(٢) (المصدر السابق) (ص٤٢– ٤٣).

(وسُئِل- أيْ مالكٌ - عن مسألةٍ فقال: لا أدْري فقيل له: إنَّها مسألةٌ خفيفَةٌ، سَهْلَةٌ، فغضِبَ، وقال: ليس في العِلْمِ خَفِيفٌ، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [الْمُزَّمِّل: ٥]؟ فالعِلْمُ كُلُّه ثَقِيلٌ، وخاصةً ما يُسأَلُ عنه يومَ القيامةِ)(٢).

قال ابنُ وهْبٍ: (لو كَتَبْنا عن مالكٍ: لا أدْري، لملأنا الألواحَ)(٣).

وعن أبي الذَّيَّالِ قال: (تعلَّمْ: لا أدري؛ فإنَّك إنْ قلتَ: لا أدْري، علَّمُوك حتى تدْري، وإنْ قلت: أدْري، سأَلُوكَ حتى لا تَدرِي)(٤).

قال الآجُريُّ مُحذِّراً أهلَ العِلْم مِنْ تَرْك (لا أدري)، فيما لا علم لَهُمْ به: (وأمَّا الحجَّةُ للعالِم يُسأَلُ عن الشيْءِ لا يَعْلَمه، فلا يَسْتَنْكِفْ أنْ يقولَ: لا أَعْلَمُ، إذا كان لا يَعْلَمُ، وهذا طريقُ أَئِمَّةِ المسلمينَ مِنَ الصَّحابةِ، ومنْ بعدَهم مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمين، اتَّبعُوا في ذلك نبيَّهم صلى اللهُ عليه وسلَّم؛ لأَنَّه إذَا كان سُئِلَ عن الشَّيءِ مِمَّا لَمْ يتقدَّمْ لَهُ فيه عِلْمُ الوَحْيِ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ فيقولُ: لا أدْرِي. وهَكذا يجبُ على كُلِّ مَنْ سُئِلَ عن شَيْءٍ، لَمْ يَتقدَّمْ له فيه عِلْمٌ أنْ يَقولَ: اللهُ أعْلَمُ، ولا عِلْمَ لِي به، ولا يَتَكَلَّفُ ما لا يعْلَمُه، فهو أعْذَرُ لَه عنْدَ اللهِ، وعنْدَ ذَوِي الألْبَابِ)(٥).

---

(١) (سير أعلام النبلاء) (٨/٧٧).

(٢) (صفة الفتوى، لابن حمدان) (ص٨).

(٣) (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر) (٢/٨٣٩).

(٤) (المصدر السابق) (٢/٨٤٢).

(٥) (أخلاق العلماء، للآجري) (ص١٢٨).

❖ مَعْرِفَةُ طُرُقِ التَّعْلِيمِ:

قال ابنُ خَلْدُون: (وقد شاهَدْنا كثيراً مِنَ المُعَلِّمِين لهذا العهدِ الذي أدْرَكْنا يَجهَلون طُرقَ التعليمِ وإفادَاتِه، ويُحضرون للْمُتَعَلِّمِ في أوَّلِ تعْلِيمِه المسَائِلَ المُقْفَلةَ مِنَ العِلْمِ، ويُطالبُونَه بإحضارِ ذِهنه في حَلِّهـــا، ويحسَـــبون ذلك مراناً على التَّعليمِ وصَواباً فيه، ويُكَلِّفونَه رعـــيَ ذلـــك وتحصـــيلَه، ويَخْلطُون عليه بما يُلقون له مِنْ غَاياتِ الفُنُونِ في مبادِئِها، وقَبْلَ أنْ يَسْتَعدَّ لِفَهْمِها..)[1].

وتكلَّم الشَّيخُ عبدُالقادرِ بنُ بدرانَ عنِ الجهلِ بطُرُقِ التَّعْلِيمِ فقال: (وهذا قدْ وقَع فيه غَالِبُ المُعَلِّمِين فَتَراهُم يَأْتِي إلَيْهم الطالبُ المبتدِئُ لِيتَعَلَّمَ النَّحْوَ مثلاً فَيشْغلُونَه بالكَلاَمِ على البَسْمَلَةِ ثُمَّ على الحَمْدَلةِ أيَّامًـــا بـــلْ شُهُورًا لِيُوهِمُوه سعَةَ مَداركِهم وغَزَارةَ عِلْمهم، ثُمَّ إذَا قُدِّرَ له الخلاصُ مِن ذلك أخَذوا يُلقِّنونه متناً أو شرحاً بحواشيه وحَواشي حَواشيه، ويحشُرون له خلافَ العلماءِ، ويشغَلُونه بكلامِ مَن ردَّ على القائلِ، وما أُجيبَ به عن الردِّ، ولا يزالون يضربون له على ذلك الوترِ حتَّى يرتكزَ في ذهنه أنَّ نوالَ هذا الفنِّ مِن قبيلِ الصعبِ الذي لا يصلُ إليه إلا مَن أُوتِي الولايةَ، وحضَرَ مجلسَ القربِ والاختصاصِ..)[2].

قال ابنُ خلدون: (ولا ينبغي للمعلِّمِ أن يزيدَ متعلِّمَه علـــى فهـــمِ كتابِه الذي أكبَّ على التَّعليمِ مِنْه بحسبِ طاقتِه، وعلى نِسْبةِ قبولِه لِلتَّعْليم

---

(١) (مقدمة ابن خلدون) (ص٥٣٣).

(٢) (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لابن بدران) (١/٢٦٥).

مُبتدئاً كان أوْ مُنتهياً، ولا يَخلطُ مسائِلَ الكتابِ بغيرِها حتَّى يعِيَه مِنْ أَوَّلِه إلى آخِره ويحصلَ أغْرَاضَه، ويستوليَ منه على ملكةٍ بها ينفُذُ في غَيْرِه..... وكذلك ينْبغي لَك أنْ لا تُطَوِّلَ على المُتَعلِّمِ في الفَنِّ الواحدِ بتفريقِ المجالسِ وتقطيعِ ما بيْنَها؛ لأَنَّه ذَريعةٌ إلى النِّسيانِ وانقِطاعِ مسائلِ الفَنِّ بعضِها مِن بعضٍ، فيعسرُ حصولُ الملكةِ بتفريقِها...)[1].

قال ابنُ بَدْرانَ: (وحاصلُ الأمرِ أنَّ الأستاذَ يَنْبغي أنْ يكونَ حكيماً يتصرفُ في طرقِ التعليمِ بحسبِ ما يَراهُ مُوافقاً لاستعدادِ المتعلِّمِ وإلا ضاعَ الوقتُ بقليلٍ مِن الفائدةِ ورُبَّما لم تُوجدِ الفائدةُ أصلاً. وطرقُ التعليمِ أمرٌ ذوقيٌّ وأمانةٌ مُودعَةٌ عندَ الأساتذةِ فمَنْ أدَّاها أُثِيبَ على أدائِها ومَن جحَدها كان مطالباً بها..)[2].

٣- مِن مهمَّاتِ التعليمِ:

أ- الاهتمامُ بأعمالِ القلوبِ:

قال الفقيهُ ابنُ قدامةَ: (وأنتَ تجِدُ الفقيهَ يتكلَّمُ في الظهارِ، واللعانِ، والسبقِ، والرميِ، ويفرِّعُ التفريعاتِ التي تمضي الدهورَ، ولا يحتاجُ إلى مسألةٍ منها، ولا يتكلَّمُ في الإخلاصِ، ولا يحذرُ مِن الرِّياءِ! وهذا عليه فرضُ عينٍ؛ لأنَّ في إهمالِه هلاكَه، والأولُ فرضُ كفايةٍ، ولو أنَّه سُئِلَ عن علةِ تركِ المناقشةِ للنفسِ في الإخلاصِ والرياءِ، لم يكنْ له جوابٌ)[3].

(١) (مقدمة ابن خلدون) (ص٥٣٤).

(٢) (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لابن بدران) (١/ ٢٦٨ - ٢٦٩).

(٣) (مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة) (ص٢٧،٢٨).

ب- معرفةُ كيفيةِ طرحِ الشُّبهِ والإجابةِ عنها:

على المدرِّسِ (أن لا يذكرَ شبهةً في الدينِ في درسٍ، ويُؤخِّرَ الجوابَ عنها إلى درسٍ آخرَ، بل يذكرُهما جميعاً، أو يَدعُهما جميعاً، ولا يتقيَّدَ في ذلك لمصنفٍ، يلزمُ منه تأخيرُ جوابِ الشبهةِ عنها؛ لما فيه مِن المسألةِ، لا سيَّما إذا كان الدرسُ يجمعُ الخواصَّ والعوامَّ)[١].

ج- التوسط في التعليم:

(يَنْبغي ألا يُطِيلَ المعلِّمُ الدرسَ تطويلاً يُملُّ، ولا يقصِّرَه تقصيراً يخلُّ، ويُراعي في ذلك مصلحةَ الحاضرين في الفائدةِ في التطويلِ، ولا يبحثَ في مقامٍ أو يتكلمَ على فائدةٍ إلا في موضعِ ذلك، فلا يقدمُه عليه ولا يؤخرُه عنه، إلا لمصلحةٍ تقتضي ذلك وترجِّحُه)[٢].

---

(١) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة، بتصرف) (ص٣٨).

(٢) (المصدر السابق، بتصرف) (ص٣٨ – ٣٩).

عاشراً: إضاءات في آخر الطريق

١- كنْ عالماً ربانيًّا:

قال ابنُ القيِّم: (فإذا استكمَلَ العبدُ هذه المراتبَ الأربعَ - أي: العلمَ، والعملَ به، والدعوةَ إليه، والصبرَ عليه- صار مِن الرَّبَّانيين؛ فإنَّ السلفَ مجمعون على أنَّ العالمَ لا يستحقُّ أن يُسمَّى ربانيًّا؛ حتَّى يعرفَ الحقَّ، ويعملَ به، ويُعلِّمَه، فمن علِم وعمِل وعلَّم؛ فذاك يُدعَى عظيماً في ملكوتِ السمواتِ)[١].

٢- تجرَّدْ مِن الدُّنيا:

قال عبدُالله بنُ المباركِ: (مِن شرطِ العالمِ، أن لا تخطرَ محبةُ الدُّنيا على بالِه. وقِيلَ له: مَن سفلةُ الناسِ؟ قال: الذين يتعيَّشون بدينِهم)[٢].

ورُوِي أنَّ مالكَ بنَ دينارٍ قال: (سألْتُ الحسنَ: ما عقوبةُ العالمِ؟ قال: موتُ القلبِ. قلتُ: وما موتُ القلبِ ؟ قال: طلبُ الدُّنيا بعملِ الآخرةِ)[٣].

قال الشيخُ بكر أبو زيدٍ: (إنْ بلغتَ منصِباً فتَذكَّرْ أنَّ حبلَ الوصلِ إليه طلبُك للعلمِ، فبفضلِ اللهِ ثمَّ بسببِ علمِك بلغْتَ ما بلغْتَ مِن ولايةٍ في التعليمِ، أو الفُتْيَا، أو القضاءِ ... وهكذا فأعطِ العلمَ قدْرَه وحظَّه مِن

(١) (زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم) (٣/١٠).
(٢) (حلية الأولياء، لأبي نعيم) (٨/١٧٨) بنحوه.
(٣) (الآداب الشرعية، لابن مفلح) (٢/٤٩).

العملِ به وإنزالِه مترلتَه.

واحذرْ مسلكَ مَن لا يرجُونَ للهِ وقاراً، الذين جعَلُوا الأساسَ حفظَ المنصبِ، فيَطْوُون ألسِنتَهم عن قولِ الحقِّ، ويحملُهم حبُّ الولايةِ على المجاراةِ.

فالزَمْ - رحِمَك اللهُ - المحافظةَ على قيمتِك بحفظِ دينِك وعلمِك، وشرفِ نفسِك، بحكمةٍ ودرايةٍ وحسنِ سياسةٍ..) [(١)].

٣- ارفعْ قدرَ العلمِ:

(اجتازَ الحسنُ البصريُّ رحِمه اللهُ يوماً ببعضِ القراءِ على أبوابِ السلاطينَ فقال: أقْرَحْتُم جباهَكم، وفَرْطَحْتُم نعالَكم، وجئتُم بالعلمِ تحمِلونه على رقابِكم إلى أبوابِهم، فزَهدُوا فيكم، أمَا إنَّكم لو جلستُم في بيوتِكم حتى يكونوا هُمُ الذين يُرسِلون إليكم لكان أعظمَ لكم في أعينِهم، تفرَّقوا فرَّقَ اللهُ بينَ أضلاعِكم)[(٢)].

٤- أدِّ زكاةَ علمِك:

قال الشيخُ بكر أبو زيدٍ: (أدِّ زكاةَ العلمِ: صادعاً بالحقِّ، أمَّاراً بالمعروفِ، نهَّاءً عن المنكرِ موازناً بينَ المصالحِ والمضارِّ، ناشراً للعلمِ، وحبِّ النفعِ وبذلِ الجاهِ، والشفاعةِ الحسنةِ للمسلمين في نوائبِ الحقِّ والمعروفِ.

وعن أبي هريرةَ رضِي اللهُ عنه أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال:

---

(١) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد) (ص٥٣).

(٢) (شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم، من مجموع رسائل ابن رجب) (٥٧/١، ٥٨).

((إذا ماتَ الإنسانُ انقطَع عملُه إلا مِن ثلاثٍ: صدقةٍ جاريــةٍ، أو علمٍ يُنْتفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له)) (١).

قال بعضُ أهلِ العلمِ: هذه الثلاثُ لا تجتمعُ إلا للعــالِمِ البــاذلِ لعلمِه، فبذلُه صدقةٌ ينتفعُ بها، والمتلقِّي لها ابنٌ للعــالِمِ في تعلُّمِــه عليــه. فاحرصْ على هذه الحليةِ فهي رأسُ ثمرةِ علمِك.

ولشرفِ العلمِ، فإنَّه يزيدُ بكثرةِ الإنفاقِ، وينقصُ مــع الإشــفاقِ وآفتُه الكتمانُ.

ولا تحملُك دعوَى فسادِ الزمانِ، وغلبةِ الفسَّاقِ، وضعفِ إفــادةِ النصيحةِ عن واجبِ الأداءِ والبلاغِ، فإن فعلْتَ فهي فعلةٌ يسوقُ عليهــا الفساقُ الذهبَ الأحمرَ؛ ليتمَّ لهم الخروجُ علــى الفضــيلةِ ورفــعِ لــواءِ الرذيلةِ)(٢).

٥- وبعدُ.. فهل تنتهي المسيرةُ، وتتوقفُ الخطواتُ؟

(قال بعضُ أهلِ العلمِ: ينبغي للمرءِ أن يذخرَ أنواعَ العلومِ ... وأن يستكثرَ مِن العلومِ، ولا يعتقدَ الغِنَى عنها، فإنَّه إن استغنَى عنها في حــالٍ احتاجَ إليها في حالٍ؛ وإنْ سئِمَها في وقتٍ ارتاحَ إليها في وقتٍ؛ وإن شُغِل عنها في يومٍ فرغَ لها في يومٍ؛ وأن لا يسرعَ ويعجلَ فيندم ويوجلَ؛ فرُبَّما عجلَ المرءُ على نفسِه بإخراجِ كتابٍ عن يدِه، ثم رامَه فتعذرَ عليه مرامُه،

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٢) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد) (ص٥١).

وابتغَى إليه وصولاً، فلم يجدْ إليه سبيلاً؛ فأتعبَه ذلك وأنصبَه، وأقلقَه طويلاً وأرَّقه)[١].

قال أبو إسحاقَ: (إنَّ الكتبَ لا تُحيي الموتَى، ولا تُحوِّلُ الأحمقَ عاقلاً، ولا البليدَ ذكيًّا، ولكنَّ الكتبَ تشحذُ وتفتقُ، وترهفُ وتَشْفي، ومَن أرادَ أنْ يعلمَ كلَّ شيءٍ فينبغي لأهلِه أن يداووه، فإنَّ ذلك إنَّما تصوَّرَ له بشيءٍ اعتراه!

فمَن كان ذكيًّا حافظاً فليقصدْ إلى شيئين، وإلى ثلاثةِ أشياءَ، ولا ينزعْ عن الدرسِ والمطارحةِ، ولا يدعْ أنْ يمرَّ على سمعِه، وعلى بصرِه، وعلى ذهنِه ما قدَر عليه مِن سائرِ الأصنافِ، فيكونَ عالماً بخواص، ويكونَ غيرَ غفلٍ مِن سائرِ ما يجري فيه الناسُ، ويخوضون فيه)[٢].

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ: (لا يزالُ الرجلُ عالمًا ما تعلَّم، فإذا تركَ التعلمَ، وظنَّ أنَّه قد استغنَى واكتفَى بما عندَه، فهو أجهلُ ما يكونُ)[٣].

وقال ابنُ الجوزيِّ: (أمَّا العالمُ فلا أقولُ له: اشبعْ مِن العلمِ، ولا اقتصِر على بعضِه. بل أقولُ له: قدِّم المهمَّ؛ فإنَّ العاقلَ مَن قدَّر عمرَه وعمِل بمقتضاه، وإنْ كان لا سبيلَ إلى العلمِ بمقدارِ العمرِ، غيرَ أنَّه يَبْني على الأغلبِ، فإنْ وصَل فقدْ أعدَّ لكلِّ مرحلةٍ زاداً، وإنْ ماتَ قبلَ الوصولِ فنيتُّه تسلكُ به. فإذا علِم العاقلُ أنَّ العمرَ قصيرٌ، وأنَّ العلمَ كثيرٌ،

---

(١) (تقييد العلم، للخطيب البغدادي، بتصرف) (ص ١٣٦- ١٣٧).

(٢) (الحيوان، للجاحظ) (١/٥٩،٦٠).

(٣) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة) (ص٢٨).

فقبيحٌ بالعاقلِ الطالبِ لكمالِ الفضائلِ أن يتشاغلَ مثلاً بسماعِ الحـــديثِ ونسخِهِ ليُحصِّلَ كلَّ طريقٍ، وكلَّ روايةٍ، وكلَّ غريبٍ. وهذا لا يفرغُ مِن مقصودِهِ منه في خمسينَ سنةً خصوصاً إنْ تشاغَل بالنســـخِ، ثم لا يحفَـــظ القرآنَ، أو يتشاغل بعلومِ القرآنِ ولا يعرف الحديثَ، أو بالخلافِ في الفقهِ ولا يعرف النقلَ الذي عليه مدارُ المسألةِ)[1].

(١) (صيد الخاطر، لابن الجوزي) (ص١٦٨).

المصادر والمراجع

١. أبجد العلوم، لصديق حسن خان القنوجي، ط ١٣٠٧هـ، دار الكتب العلمية ببيروت.

٢. إبطال الحيل، لعبيد الله بن محمد العُكْبَري، المعروف بابن بَطَّة، تحقيق: زهير الشاويش، ط ٣، المكتب الإسلامي.

٣. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد الحسيني الزبيدي، ط ١، ١٤٠٩، دار الكتب العلمية ببيروت.

٤. اتهامات لا تثبت، لسليمان بن صالح الخراشي، ط ١، ١٤٢٥، مكتبة الرشد بالرياض.

٥. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ترتيب علاء الدين علي بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط ١، ١٤٠٧، مؤسسة الرسالة ببيروت.

٦. أخلاق العلماء، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، اعتنى به: دكتور أحمد حاج محمد عثمان، ط ١، ١٤٢٦، أضواء السلف بالرياض.

٧. آداب الشافعي ومناقبه، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: عبدالغني عبد الخالق، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٨. الآداب الشرعية، لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعمر القيَّام، ط ١، ١٤١٦، مؤسسة الرسالة ببيروت.

٩. أدب الدنيا والدين، لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي، ط١ ، ١٤٠٧هـ ، دار الكتب العلمية ببيروت.

١٠. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، لأبي حفص عمر بن علي البزار، ط ٣، ١٤٠٠، المكتب الإسلامي ببيروت.

١١. اقتضاء العلم العمل، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٤، ١٣٩٧، المكتب الإسلامي ببيروت.

١٢. إنباه الرواة على أنباء النحاة، لعلي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١ ، ١٤٠٦هـ، دار الفكر العربي بالقاهرة - مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت.
١٣. أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع عشر الهجري، للدكتور عابد سليمان المشوخي، ط ١٤١٤، مكتبة الملك فهد الوطنية بالسعودية.
١٤. بدائع الفوائد، لأبي عبدالله محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: معروف زريق، ومحمد وهبي، وعلي بلطه جي، ط ١، ١٤١٤، دار الخير ببيروت.
١٥. بستان العارفين، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد الحجار، مكتبة دار الدعوة بحلب.
١٦. البلدانيات، للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: حسام بن محمد القطان، ط ١ ، ١٤٢٢، دار العطاء بالسعودية.
١٧. بيان فضل علم السلف على علم الخلف، لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، ط ١، ١٤١٦، دار البشائر الإسلامية ببيروت.
١٨. البيان والتبين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، ط ١، ١٩٦٨، دار صعب ببيروت.
١٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، ط ١، ١٤٠٧، دار الكتاب العربي ببيروت.
٢٠. تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية ببيروت.
٢١. تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، ١٤١٦، دار الفكر ببيروت.

٢٢. التأصيل في طلب العلم، لمحمد عمر بازمول (محاضرة، مأخوذة مـــن الشـــبكة العنكبوتية).
٢٣. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لعلي بن الحسن بن عساكر الدمشقي، ط ٣، ١٤٠٤، دار الكتاب العربي ببيروت.
٢٤. التحبير في المعجم الكبير، لأبي سعد عبدالكريم بن محمد الســـمعاني التميمـــي، تحقيق: منيرة ناجي سالم، ط ١، رئاسة ديوان الأوقاف ببغداد.
٢٥. تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، لعبد الله بن عسيلان، ط ١٤١٥، مكتبة الملك فهد الوطنية بالسعودية.
٢٦. تذكرة الحفاظ، لمحمد بن أحمد الذهبي، دار إحياء التراث العربي ببيروت.
٢٧. تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، لبدر الدين بن جماعة الكنـــاني، دار الكتب العلمية ببيروت.
٢٨. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض بن موسى، تحقيق: سعيد بن أحمد أعراب، ١٤٠٢هـــ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.
٢٩. التعالم وأثره على الفكر والكتاب، لبكـــر بـــن عبـــد الله أبـــو زيـــد، ط ١، ١٤١٨هــــ، دار الراية بالرياض.
٣٠. تعليم المتعلم طريق التعلم، برهان الدين الزرنوجي، ط ١٣٠٧، المطبعة العثمانية بمصر.
٣١. تقييد العلم، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: يوسف العش، ط ٢، ١٩٧٤، دار إحياء السنة النبوية.
٣٢. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بـــن عبـــد الـــبر، مجموعة محققين، مطابع الشويخ – تطوان.

٣٣. تنوير الطلاب بتحرير أسباب العلم من كـــلام رب الأربـــاب، لأبي القاســـم المقدسي (رسالة من الشبكة العنكبوتية).

٣٤. جامع بيان العلم وفضله،لأبي عمر يوسف بن عبد البر، تحقيـــق: أبي الأشـــبال الزهيري، ط ٤، ١٤١٩، دار ابن الجوزي بالدمام.

٣٥. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأحمد بن علي الخطيـــب البغـــدادي، تحقيق: محمد بن عجاج الخطيب، ط ١، ١٤١٢، مؤسسة الرسالة ببيروت.

٣٦. الجواهر المضـــية في طبقـــات الحنفيـــة، لعبـــدالقادر بـــن محمـــد بـــن أبي الوفاء، تحقيق: عبدالفتاح بن محمد الحلو، ط ١٣٩٨، دار العلوم بالرياض

٣٧. الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، ليوسف بن الحســـن بـــن عبدالهادي، تحقيق: عبد الرحمن بن عثيمين، طـــ ١، ١٤٠٧، مكتبة الخـــانجي بالقاهرة.

٣٨. الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، ط١، ١٤٠٥، دار الكتب العلمية ببيروت.

٣٩. الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، لأبي هلال الحســـن بـــن عبـــدالله العسكري، تحقيق: الدكتور مروان قباني، ط ١، ١٤٠٦، المكتب الإسلامي.

٤٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبـــدالله الأصـــفهاني، دار الكتب العلمية ببيروت.

٤١. حلية طالب العلم، لبكر بن عبدالله أبـــو زيـــد ، ط ١، ١٤٠٨، دار الرايـــة بالرياض.

٤٢. الحيوان، لعمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط ١٤١٦، دار الجيل ببيروت.

٤٣. الذيل على طبقات الحنابلة، لعبدالرحمن بن رجب الحنبلي، دار المعرفة ببيروت.

٤٤. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لمحمد بن محمد بن عبدالملك المراكشي، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة ببيروت.

٤٥. الرحلة في طلب الحديث، لأحمد بن علي البغدادي، (من مجموعة الرسائل الكمالية في الحديث) مكتبة المعارف بالطائف.

٤٦. الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي، ومحمود شكري الألوسي، جمع وتحقيق: محمد بن ناصر العجمي، ط ١، ١٤٢٢، دار البشائر الإسلامية ببيروت.

٤٧. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية ببيروت.

٤٨. زاد المعاد في هدي خير العباد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، ط ١٣، ١٤٠٦، مؤسسة الرسالة ببيروت.

٤٩. سبل السلام شرح بلوغ المرام، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ط ٤ ، ١٣٧٩، مكتبة مصطفى البابي الحلبي.

٥٠. السبل المرضية لطلب العلوم الشرعية، أحمد بن سالم المصري، ط ١، ١٤٢٦، دار الكيان بالرياض.

٥١. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، محمد بن عبدالله بن حميد النجدي المكي، تحقيق: بكر أبو زيد وعبدالرحمن العثيمين، ط ١، ١٤١٦، مؤسسة الرسالة ببيروت.

٥٢. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

٥٣. شرح ديوان المتنبي، لعبد الرحمن البرقوقي، ط ٢ ، ١٤٠٧، دار الكتاب العربي ببيروت.

٥٤. شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، لحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، تحقيق: عبد العزيز أحمد، ط ١، ١٣٨٣، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
٥٥. شرف أصحاب الحديث، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور: محمد سعيد خطيب أوغلي، دار إحياء السنة النبوية.
٥٦. صفة الصفوة، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، ط ٢، ١٣٩٩، دار المعرفة ببيروت.
٥٧. صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، لأحمد بن حمدان الحراني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٢، ١٣٩٤، المكتب الإسلامي ببيروت.
٥٨. صفحات مشرقة في عبادات العلماء، للدكتور عبد الكريم الخضير (محاضرة).
٥٩. صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، لعبدالفتاح أبو غدة، ط ٣، ١٤١٣، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.
٦٠. صلاح الأمة في علو الهمة، لسيد حسين العفاني، ط ١، ١٤١٧، مؤسسة الرسالة ببيروت.
٦١. صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، لابن الصلاح أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، تحقيق: موفق عبدالله عبدالقادر، ط ٢، ١٤٠٨، دار الغرب الإسلامي ببيروت.
٦٢. صيد الخاطر، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، المكتبة العلمية ببيروت.
٦٣. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة ببيروت.
٦٤. الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، لجعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي، تحقيق: سعد محمد حسن – طه الحاجري، ١٩٦١م، الدار المصرية للتأليف و الترجمة.

٦٥. طبقات الشافعية الكبرى، لعبدالوهاب بن علي السبكي (الابن)، تحقيق: الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو – الدكتور محمود الطناحي، ط١، ١٣٨٨ ، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.
٦٦. الطبقات الكبرى، لأبي عبدالله محمد بن سعد البصري، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، ١٩٦٨م، دار صادر ببيروت.
٦٧. طبقات الحنابلة، لمحمد بن محمد بن الفراء أبي يعلى، دار المعرفة ببيروت.
٦٨. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد بن أحمد بن عبدالهادي، تحقيق: طلعت فؤاد الحلواني، ط ١، ١٤٢٢، الفاروق الحديثة بالقاهرة.
٦٩. علل الحديث، لأبي محمد عبدالرحمن الرازي بن أبي حاتم، تحقيق: نشأت بن كمال المصري، ط ١، ١٤٢٣، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر بالقاهرة.
٧٠. عوائق الطلب، لعبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، ط ١، ١٤٢٢، مكتبة الرشد بالرياض.
٧١. الفروق في اللغة، لأبي هلال الحسن بن عبدالله العسكري، تحقيق: جمال عبدالغني مدغمش، ط ١، ١٤٢٢، مؤسسسة الرسالة.
٧٢. فضائل القرآن لأبي عُبيد القاسم بن سلام، تحقيق: مروان العطية – محسن خرابة – وفاء تقي الدين، ط ١٤٢٠، دار ابن كثير.
٧٣. الفلاكة والمفلوكون، لأحمد بن علي الدلجي، ط ١، ١٤١٣، دار الكتب العلمية ببيروت.
٧٤. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات، لعبدالحي بن عبدالكبير الكتاني، ١٤٠٦، دار الغرب الإسلامي ببيروت.
٧٥. الفوائد، لمحمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير بن محمد عيون، ط ١، ١٤٠٧، مكتبة دار البيان بالكويت .

٧٦. في سبيل الإصلاح، لعلي الطنطاوي ، ط ٤، دار المنارة بالسعودية.
٧٧. الكتاب الإسلامي المعاصر- نظرات نقدية، لأحمد بن عبدالرحمن الصويان، ط ١، ١٤١٦، دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض.
٧٨. كتاب العلم، لأبي خيثمة زهير بن حرب، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٢ ، ١٤٠٣ المكتب الإسلامي ببيروت.
٧٩. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبدالله حاجي خليفة، دار العلوم الحديثة ببيروت.
٨٠. كيف يبني طالب العلم مكتبته، للدكتور عبد الكريم الخضير (محاضرة).
٨١. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، ط ١، دار صادر.
٨٢. لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، لعبدالرحمن بن علي، ابن الجوزي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، ط١، ١٤١٢، مكتبة البخاري بمصر.
٨٣. المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري، تحقيق: مشهور بن حسن، ط ١٤١٩، جمعية التربية الإسلامية بالبحرين، ودار ابن حزم ببيروت.
٨٤. مجموع الفتاوى، لأبي العباس أحمد بن تيمية، جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، ط ٣، ١٤٢٦، دار الوفاء.
٨٥. المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر.
٨٦. مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، لعبدالرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: طلعت فؤاد الحلواني، ط ١، ١٤٢٣هـ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر بالقاهرة.
٨٧. المحاسن والأضداد، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ط ٢، ١٤١٥، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٨٨. المحاسن والمساوئ، لإبراهيم بن محمد البيهقي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بالقاهرة.
٨٩. مختصر منهاج القاصدين، لأحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، تحقيق: علي حسن الحلبي، ط ١، ١٤٠٦، دار فيحاء، ودار عمار بالأردن.
٩٠. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لشمس الدين محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط ٢، ١٣٩٣، دار الكتاب العربي ببيروت.
٩١. المدخل إلى السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي بالكويت.
٩٢. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعبد القادر بن أحمد بن بدران، تحقيق: محمد أمين ضناوي، ط ١، ١٤١٧، دار الكتب العلمية.
٩٣. مزالق في التحقيق، لعبد الله الشمراني، (مقال من الشبكة العنكبوتية).
٩٤. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، عناية عبد السلام بن محمد علوش، ط ٢، ١٤٢٧، دار المعرفة ببيروت.
٩٥. المسودة في أصول الفقه، لآل تيمية (مجد الدين عبد السلام بن تيمية، وعبد الحليم بن تيمية، وأحمد بن عبد الحليم)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي.
٩٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد الفيومي، المطبعة الميمنية.
٩٧. مطالع البدور في منازل السرور، لعلاء الدين علي بن عبدالله البهائي الغزولي، ط ١، ١٢٩٩، مطبعة إدارة الوطن بمصر.
٩٨. معجم الأدباء، لياقوت الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، ١٩٩٣م ، دار الغرب الإسلامي ببيروت.

٩٩. معجم شيوخ الذهبي، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: روحية عبدالرحمن السيوفي، ط١، ١٤١٠، دار الكتب العلمية ببيروت.

١٠٠. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، ط ١، ١٤١٦، دار ابن عفان بالخبر.

١٠١. مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر.

١٠٢. من هدي السلف في طلب العلم، للدكتور محمد بن مطر الزهراني، ط ١، ١٤١٨، دار ابن عفان بالخبر.

١٠٣. مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٠٢، دار الآفاق الجديدة ببيروت.

١٠٤. مناهج اللغويين في تقرير العقيدة، للدكتور محمد الشيخ عليو، ط ١، ١٤٢٧، مكتبة دار المنهاج بالرياض.

١٠٥. المنثور في القواعد، لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق الدكتور: تيسير فائق أحمد محمود، ط ٢، ١٤٠٥، طباعة شركة دار الكويت للصحافة.

١٠٦. الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، ط ١، ١٤١٧، دار ابن عفان بالخبر.

١٠٧. الموجز في تراجم البلدان والمصنفات وتعريفات العلوم، لمحمود بن محمد الطناحي، ط١ ١٤٠٦، مكتبة الخانجي بمصر

١٠٨. نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية، للشريف حاتم بن عارف العوني، ط ١، ١٤١٨، دار عالم الفوائد بمكة.

١٠٩. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري، ١٤٠٨ هـ، دار الفكر ببيروت.

١١٠. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلكـــان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر ببيروت.

فهرس الموضوعات